مدخل إلى المذاهب الفلسفية :

السداسي الثاني

تخصص :جذع مشترك

قسم الاتصال

المجموعة الثالثة .

تتضمن هذه الدروس أهم المحاور الخاصة بالسداسي الثان في مقياس المذاهب الفلسفية، فقد حاولنا قبل ذلك التطرق إلى أهم مراحل تطور الفلاسفة خصوصا في عصر الأنوار وهي مرحلة هامة، حاولت احداث قطيعة مع العالم القديم ومع معالم الفكر الخرافي و النفوذ الديني وطغيان الكنيسية في المجتمعات الغربيبة وكل اشكال الاستبداد الى وضعية جديدة تعيد الاعتبار للعقل انطلاقا من الملاحظة و التجربة والتركيز على المفاهيم الجديدة : كالتقدم و الحرية والسعادة، حرية الفكر والكتابة، النقد، العقل والروح والجسد، الفنون والعلوم، الآداب والقانون والرسم، الحريات وحقوق الانسان....انتشرت هذه الأفكار التي تركز في جوهرها على المقولة التالية : : "إن الأنوار هي خروج الإنسان، من القصور الذي سببه لنفسه بنفسه". لتساهم في تكوين "الفلسفة الجماهيرية " وتجاوز الأحكام الجاهزة والخاطئة والتقليد القديم وبذلك تكون بديلة لفلسفة الطبقة الارستقراطية ورجال الكنيسة . كما ساهمت بقدر كبير في بروز ما يسمى بـــ الأنسكلوبديا: (الموسوعات)، الصالونات والمقاهي بإعتبارها أماكن وفضاءات لتبادل الأفكار بين الفلاسفة والفنانين والعلماء والكتاب ومناقشة مختلف القضايا خاصة الفلسفية. .

– نظرية المعرفة:

يقال عن المعرفة أنها، مجموعة من المعاني والمفاهيم والمعتقدات والأحكام والتصورات الفكرية التي تتكون لدى الإنسان نتيجة لمحاولاته المتكررة لفهم الظواهر والأشياء المحيطة به. والواقع أن تحليل "المعرفة الانسانية " من كل جوانبها فتح المجال واسعا لانشغالات للفلاسفة خاصة بعد القرن السابع عشر. ويشكل هذا الموضوع أهم مشكله تناولتها الفلسفة، وهي تتضمن عنصرين: الأول، يتعلق **بالشخص العارف أو الذات العارفة**، (الذات المدركة)، والعنصر الثاني، **الشيء المعروف (الموضوع المدرك)**، إذا لابد أن يتوفر في كل معرفة "ذات وموضوع". تشكل نقطة تقاطع الذات المفكرة والموضوعات والنظر في الاشياء والتأمل فيها إلى تكوين معارف مختلفة باختلاف الموضوعات، لكن يمكن حصر النظر في الذات العارفة أيضا لنركزها على طريقة رؤيتنا أو معرفتنا بتلك الموضوعات. [1] وتغلب اهتمامات الباحثين والفلاسفة بهذا الموضوع كون الفلسفة ترمى أولا إلى المعرفة أو كما يسميها البعض **"الايبستيمولوجيا** " التى تأتي من التمحيص الدقيق والنقد النافذ للأسس التي تقوم عليها آراؤنا وأحكامنا ومعتقداتنا [2] وكلمة **"المعرفة"** جاءت من مصدر "عرف" "يعرف"، فهي عكس الجهل ، وتطلق هذه الكلمة على كل ما وصل إلى إدراك الإنسان من تصورات، مثل المشاعر، الوجود، أو الحقائق، أو الأوهام، أو الأفكار، التي قد تسهم في التعرف على البيئة من حوله والتعامل معها، كما تشير إلى "تعريف الشيء"، أي أدركه بالحواس أو بالفعل العقلي، يقال عنها بأنها، إدراك الأشياء وتصورها.

فالتعريف الخاص بها يتعلق بمعرفة الحقائق وطرق التأكد من صحتها، وهذه النظرية تطرح العيديد من الأسئلة ومحاولة الاجابة عن هنها، ومن أهم هذه الأسئلة، **من أين نحصل على المعرفة وكيف نحصل عليها ؟ بأي طريق أو بأي وسيلة أو منهج نصل إليها؟ ماهي طبيعة المعرفة؟ وما هي أفضل الطرق الموثوق بها التي تكتسب بها المعرفة؟ هل المعرفة مطلقة أم نسبية؟ وماهي قيمة هذه المعرفة وحدودها؟** ولذلك فإن المعرفة، هي فرع من فروع الفلسفة، التي تبحث في معنى المعرفة والمسائل المتصلة بذلك، مثل مسألة الحقيقة، والخطأ والشك واليقين، والاعتقاد والبرهان، والادراك والحدس...، فعند تناول علاقة "الفكر بالمادة "، علاقة "الوعي بالوجود"، يمكن طرح السؤال التالي: هل بقدور فكرنا أن يعرف معرفة صحيحة للعالم المحيط بنا، وهل بإمكاننا وضع مفاهيم صحيحة عن الظواهر والعليات المحيطة بنا، وهل نستطيع أن ندلى بآراء صائبة عنها ونحكم عليها حكما صحيحا ونتصرف بنجاح استنادا إلى طروحاتنا وآرائنا هذه؟ إن السؤال هل من الممكن

---

[1]–عمار الطالبي، **مدخل إلى عالم الفلسفة**، دار القصبة للنشر، الجزائر، ص ص 157–158.

[2]– محمد سبيلا وعبد السلام بنعبد العالي: **التفكير الفلسفي**، دار توبقال للنشر ، 2008. ص 59.

معرفة العالم، وإذا كان ذلك ممكنا فإلى أي مدى يستطيع الانسان أن يعرف ويدرك الواقع المحيط به بشكل صائب أو قريب من الصواب في أقل تقدير[1].

فالسؤال الفلسفي، لدى اليونان خاصة مع "أفلاطون" كان "**سؤلا انطولوجيا**" يبحث في أصالة الوجود .أما السؤال الذي اختص به التطور الحديث فهو السؤال المعرفي أو نظرية المعرفة، اعتبارها على صلة موضوعية وتاريخية مع علوم عصرها، بخاصة مع "**ديكارت" أو "كانط" أو "لوك" أو "ليبنتز"، أو "فرانسيس بيكون"** وهذا الاهتمام في نظرية المعرفة وتأطير الشروط التي تجعل منه ممكنة، ومساءلة طريق التعقل السليم ، إنما تجد مبرراته في الثورة العلمية ونهضة المعرفة التجريبية، وفقدان الثقة في بعض المناهج السابقة مثل، المثالية في التفكير التي نعتها "**فرانسيس بيكون" بـــ"العناكب الذين ينسجون الأفكار من تجاويف عقولهم"** [1]

وهكذا يمكننا القول أن المعرفة[*] كانت مرتبطة بأبحاث الوجود إلى أن ظهرت موجة من الفلاسفة الذين اهتموا بطبيعة المعرفة، ومنهم " **جون لوك "1704-1632" " فكتب " مقاله في الفهم الإنساني " عام1690** م ليكون أول محاولة لفهم المعرفة البشرية وتحليل الفكر الإنساني وعملياته، وأيضا **"فرانسيس بيكون" رائد المدرسة الحسية الواقعية** .والذي يقول "**إن المعرفة لا يمكن الحصول عليها إلا عن طريق الحواس وما لا يمكن معرفته عن طريق الحواس لا يعتبر موجودا"**، كما ساهمت تصوراته ه في إعادة النظر في مفهوم الحقيقة والمعرفة، و لم يعد يتوصل إليها بالحدس، والإلهام، أو بنوع من التجريد العقلي، بل تحولت إلى حقيقة نسبية تتحقق عبر التاريخ . وإن كان قد سبقهم" **ديكارت**" في الشك المنهجي والعقلانية، أي أن العقل البشري مفطور على معارف وعلوم أساسية يمكن عن طريقها أن يتوصل إلى المعارف والعلوم الأخرى وهو صاحب المقولة المشهورة : "**أنا أفكر إذن أنا موجود**" وبعد ذلك جاء (**كانط 1804 – 1724**) فحدَّد طبيعة المعرفة وحدودها وعلاقتها بالوجود، وتحث عن العناصر القبلية للمعرفة .

والحقيقة، لقد طرأت على هذه النظرية تغيرات وتعديلات أثناء تطور الفلسفة وعبر تاريخها الطويل، فهي ليست وليدة عصر معين أو فيلسوف معين، و لم تعد الفلسفة معرفة للعالم فقط، بل تفكير في هذه المعرفة بالعالم أو هي معرفة بالمعرفة و البحث في إمكان المعرفة وحدودها [3] وهو بحث يتناول الشك في المعرفة وإمكانها والفارق بيت الشك المنهجي والشك المذهبي، وتحاول الاجابة عن قضايا المعرفة واليقين والشك والبرهان

---

[1]– راكيتوف:ترجمة موفق الليمي، **أسس الفلسفة**، دار التقدم ، 1986، ص 31.

[2]– عبد الرزاق بلعقروز، **مدخل إلى الفلسفة العامة**، ط1، منشورات الاختلاف، الجزائر– 2015.، ص 57.

[*]– ولقد خاض الفلاسفة في هذه المشكلة، فمنهم من جعل المعرفة تعتمد على المحسوسات وحدها واعتبرها معيار الصدق والحقيقة والصواب واليقين والخطأ والعدم والوجود، ومنهم من اتخذ العقل مقياسا لكل حقيقة وبالتالي انكار الحس، ومنهم من اقتصر على الاحتمال وأنكر اليقين ولا يرى هناك حقا مطلقا أو معرفة شيء في ذاته وإنما الفرد هو مقياس كل حقيقة.

[3]– حسين على، **ما هي الفلسفة**، التوير للنشر والتوزيع، بيروت ، لبنان ، 2011، ص 117.

والحدس والاعتقاد، والبحث في الطرق الموصلة إلى المعرفة أو منابع المعرفة، و البحث في طبيعة المعرفة من حيث كونها مثالية أو واقعية أو غير ذلك.

1. إمكانية المعرفة: (الشكك والاعتقاديون)

يمكن التعبير عن الإشكالية المتعلقة بإمكان المعرفة بالتمييز بين "**فريقيين متعارضين**" ، أحدهما يشكك في إمكانية وجود الحقيقة ويرى عجز العقل وعدم قدرته على بلوغ أية معرفة صحيحة بالأشياء والظواهر، ويمثل هذا "**الموقف الشكاك**" أو أصحاب "**الشك المذهبي** " الذين اتخذوا الشك عقيدة لهم في الحياة، بحيث أنكروا جميع الحقائق و لم يستطيعوا الخروج من دائرة الشك، أما الفريق الأخر فيمثله الفلاسفة "**الاعتقاديون" أو الوثوقيون**" الذين يثقون في قدرة العقل على بلوغ الحقيقة واليقين، ويقولون بالتالي بإمكانية بلوغ الحقيقة ، ويعترفون بقدرة العقل على بلوغ المعرفة المتعلقة بالظواهر سواء كانت طبيعية أو انسانية.[2] كما يمكن التعبير عن الإشكالية المتعلقة بإمكان المعرفة من خلال التساؤلات التالية :هل المعرفة ممكنة ؟ وهل بإمكان العقل إنتاج معرفة حقيقية بالإنسان وبالطبيعة وما وراء الطبيعة ؟ وما هي الأسباب أو المحددات التي تجعل هذه المعرفة ممكنة أو غير ممكنة ؟

أ - المذهب الوثوقي (الدغمائي :(Dogmatisme):

وهو مذهب يؤمن بطابع الجزم والاعتقاد بالوصل إلى اليقين، و يؤمن أنصار الوثوقية بقدرة العقل على اكتشاف الحقيقة المطلقة و اليقين بصحتها.

وهذا الاتجاه الفلسفي، يذهب إلى إثبات قيمة العقل وقدرته على المعرفة وإمكان الوصول إلى اليقين، وإذا كان "مذهب الشك" يصر بالامتناع عن اثبات الحقائق أو نفيها، فإن "الدوغماتية" ترى أن العلم الانساني لا يقف عند حد وتؤكد قدرة الانسان والعقل على المعرفة والوصول إلى اليقين، وقد سارت هذه النزعة في فلسفة العقليين، إبان القرنيين السابع والثامن عشر، فأسسوا فلسفتهم على العقل ومنح الاولوية للمعرفة للعقل ، **يرى افلاطون "أن العقل هو الضامن الوحيد الضروري لإدراك الفكر"** لذلك فقد توجه ، العقليون إلى إمكانية وصول العقل إلى معارف أولية قائمة بذاتها، لا يعتريها الخطأ والنسبية، كالمعارف الرياضية التي تثبت ببداهة. وهذا العقل قادر على إدراك الحقائق الموضوعية دون الحاجة على مساعدة الحواس التي من شأنها أن توقع الإنسان في احتمالات الخطأ أو النسبية في الحكم. فالعقل هو الوحدة الالوية لمعرفة الموضوع والذات، ونحا نحوها بعض الفلاسفة التجريبيون الذين أكدوا إمكان المعرفة عن طريق التجربة،[2] فرواد هذا الاتجاه يؤمنون بالتجربة الحسية للمعرفة، وهذا بتوجيه انتقادات للتفكير العقلي، يقول **الفيلسوف الفرنسي "كلود برنارد"**(**Claude Bernard**) مؤسس المدرسة التجريبية العلمية **" التجريب هو الوسيلة الوحيدة التي نملكها**

---

[1]– محمد الشبه، مرجع سبق ذكره، ص 33.

[2]– حسين على : مرجع سبق ذكره، 118.

لنطلع على طبيعة الأشياء التي هي خارجة عنا" . وهي تعبر عن مواقف التجريبيين الذين اكدوا إمكان المعرفة عن طريق التجربة، وتصوروا أن افكارنا كلها من صنع العالم الخارجي. ويعتبر الفيلسوف التجربي والمفكر السياسي "**جون لوك** " (**1632 – 1704**) (**John Locke**) من القائلين بإمكان المعرفة من التجربة الحسية والخبرة.

حاول دعاة اليقين والاعتقاد مواجهة فلاسفة الشك بينما سبقه بصورة غير مستقلة "**فرانسيس بيكون**") (**Francis Bacon** :) (**1561– 1626**) رائد المدرسة الحسية الواقعية، القائمة على الملاحظة والتجريب والذي يقول "**إن المعرفة لا يمكن الحصول عليها إلا عن طريق الحواس وما لا يمكن معرفته عن طريق الحواس لا يعتبر موجودا"** وهكذا، فإن كلا الاتجاهين موصوف بالدوغماتية، ومن بين الاتجاهات الفلسفية المعاصر الأكثر دوغماتية **نجد الفلسفة "الماركسية"** في مبادئها ومقولاتها خاصة في يقينها بإمكان معرفة العالم وقدرة الفكر البشري على كشف الحقائق الموضوعية. وهذا خلافا للمثالية التي تنكر إمكان معرفة العالم وقوانينه ولا تؤمن بقيمة معارفنا ولا تعترف بالحقيقة الموضوعية.[1]

ب – النـــزعـــة الـــشـــكيـــة :

ويشير هذا المذهب إلى تعليق الحكم على طبيعة الموضوعات والاشياء، وقد عرف "**الجرجاني**" الشك في كتابه "**التعريفات** " بقوله: "**هو التردد بين النقيضين بلا ترجيح لأحدهما على الأخر وذلك لوجود أمارات متساوية في الحكمين ، أو لعدم وجود أية أمارة فيهما،** [2] ويقال عن الشك : **بأنه "حالة نفسية يتردد معها الذهن بين الإثبات والنفي ويتوقف عن الحكم، وذلك للجهل بظروف الموضوع وجوانبه أو العجز عن التحليل والبت في الموضوع**".

وقد كان لهذه النزعة الشكية حضورا في الفلسفة الحديثة والمعاصرة ، فقد تطرق كل من "**مونتاني**" **و "هيوم" إلى** الشك **و"باسكال"** أيضا، الذي أبصر في نزعة الشك وسيلة ملائمة من أجل البرهنة على محدودية العقل البشري وعجزه في استقلاله عن الدلالات الدينية، "**فشك باسكال**" شك ذرائعي يجد فيه المتدين الذي يؤسس معرفته على منطقيات الايمان القبلي يقينا في قوة اعتقاده، وتجاوز للعقل في شكه وحيرته ونسبيته. أما "**مونتاني**" **فيقول "يجب على الشك أن يكون كليا، لأننا لا نعرف شيئا إلا بحواسنا وعقلنا، وهما أداتان تحتاجان إلى برهان أخر، للحكم على الطواهر يلزمنا لأداة حكم ، ولكي نتحقق من هذه الأداة يلزمنا برهان ولكي نتحقق من البرهان يلزمنا أداة،**" وهكذا، تكون المعرفة الطلقة غير ممكنة، وينفى المعيار المطلق للحقيقة. وكذلك تطرق "دافيد هيوم" إلى الشك، وقد شك في الافكار الفطرية السابقة عن التجربة، ورد هذا كله إلى تأويلات نفسية. ويرى أن المعاني القبلية لا مبرر لها سوى قوانين التداعي النفسية ومؤثرات الزمان

---

[1]– عبد الرزاق بلعقروز، مرجع سبق ذكره، 73.

[2]– محمد شطوطي، **المدخل إلى الفلسفة العامة**، ط2، الجزائر.، ص 65.

والمكان. لقد تصاعدت موجة الشك في القرن العشرين بظهور ما يسمى "**بفلاسفة الارتياب** " **وهم "كارل ماكس" و"فريديرك نيتشه" و"سيجموند فرويد"** الذين هم بحسب منظورية "**ميشال فوكو** " طرحوا أمام العقل الفلسفي إمكانية أخرى للتأويل تغيرت فيه طبيعة الدليل، خاصة أن رؤيتهم تقوم على سيرورة البحث عن معنى عميق كامن وغير مباشر ، فخلف سلوك ما مثلما يحلل فرويد دافع نفسي غير واع، أو مثلما يفضح "**ماركس**" إيديولوجية استغلالية ، ومع "**نيتشه**" يتم اعتبار كل شيء كجملة من القوى التي تنجز فعلا، ومن بينها المعرفة التي هي ارادة قوة وليست رغبة في الموضوعية." يقول في هذا الاطار، "**إن طريقة الحقيقة لا تبتدع لأغراض الحقيقة ذاتها، وإنما ابتداعيتها دواف "القوة والهيمنة"** وبالتالي ينتج عن هذا أن تحليل كل اعتقاد أو مؤسسة أنما بادئ ي بدء النظر إليها كقدرات وكنشاطات فعالة، بطرح تساؤلات : من أين تأتي هذه القدرات؟ من أي نية تنبثق؟ إلى أين تتجه؟...حيث يقول "**نيتشه**"، "**إن غريزة المعرفة هي غريزة تملك وسيطرة، وأن ليس هناك حقائق، هناك تأويلات فحسب**". [1]

يمك التمييز بين نوعين من الشك:

1 - **الشك المطلق:**

لقد كان فلاسفة اليونان أول من بدأ البحث في مسألة إمكان المعرفة، وتحديدا الذين عرفوا بـــ"لسفسطائيين" أو "الشكاك". وهؤلاء الفلاسفة (كانوا ينكرون قطعية المعارف الانسانية، وقد تطور الشك إلى أن أصبح مذهبا من المذاهب، وقد بلغ اشده على يد "**بيرون أو فيرون**" (**Pyrrhon**) ، صاحب "**المذهب الشكي**" عند اليونان، حتى أنه لقب بإمام الشكاكين. وأصحاب الشك **ينكرون بشكل قاطع ونهائي أية قدرة للعقل على بلوغ المعرفة، بحيث يعلقون الاحكام ويمتنعون عن اصدارها ما دموا يبتدئون بالشك، وينتهون إليه**، قد أنكروا وجود مقياس ثابت للحقائق، ورأوا امتناع وجود حقيقة مطلقة، وشكوا في كل شيء. و قد تحولت "السفسطة" على عبث بالفكر والعلم وعلى رأسهم " **جورجياس** (**480–375 م) وبروتاغوراس** (**410– 480 م) وتطور فيما بعد مع الفلاسفة الشكاك أمثال "بيرون" و"سكتوس" "أمريكوس"**. انتهت بهم على إنكار جميع المعارف المتصلة المحسوسات والبديهيات.وبقى "**الانسان مقياس كل شيء** " والحقيقة نسبية تختلف من فرد لأخر ومن مجتمع لأخر وتتعدد بتعدد المصالح والمنافع والسياقات. وبالتالي يتعذر الوصول إلى معرفة حقيقية ويقينية . [2]

2. **المذهب المنهجي:**

إذا كان الشك عند الفلاسفة في الاتجاه الاول، أي "الشك المطلق " قد سيطر عليهم الشك واتخذوه مبدأ دائم في حياتهم ورفض الحقيقة المطلقة، فإن أصحاب "الشك المنهجي" على العكس من ذلك ، فقد أتخذو

---

[1]– المرجع نفسه، ص 67- 68.

[2]– محمد الشبه، مرجع سبق ذكره، 34.

الشك كوسيلة لتصحيح المفاهيم وبنائها والبحث عن اليقين والحقيقة ، وهو منهجا للوصول إلى اليقين ومن أنصار هذا المذهب **"الغازلي" و"ديكارت "** الذي قال أن **"الشك أساس الحكمة".**

ويعتبر هذا المذهب، كمرحلة أساسية من مراحل منهج البحث في الفلسفة بهدف الوصول إلى المعرفة اليقينية ؛ ولا يجب في هذا الإطار التسرع في إصدار الاحكام ولا يقبل إلا ما يثبت للعقل بداهة. وأصحاب الشك المنهجي يتخذون منه سبيلا إلى اليقين وهى عملية اختيارية عن طريق إفراغ العقل مما فيه من معلومات سابقة قد تكون عرضة للمغالطة وعدم التأكيد، وذلك لتهيئة العقل لدراسة الأمور دراسة موضوعية غير متأثرة بالمفاهيم الشائعة والأخطاء المألوفة، [1] تكمن القيمة الفعلية للشك المنهجي في تحفيز الإنسان على التأمل والنظر والبحث، والتدقيق؛ بهدف إلى الوصول إلى اليقين .

يعد **"ديكارت"** من الفلاسفة الذين تطرقوا إلى الشك المنهجي كوسيلة لبلوغ اليقين، باعتباره أداة من أدوات التفلسف، وهو خطوة أساسية للوصول إلى الحقيقة يتحقق ذلك، بنقد المعارف وفحصها و التأكد من مدى صحتها، ومادام الشك نوع من التفكير فقد توصل **"ديكارت"** إلى أنه يفكر، هكذا صاغ عبارته المشهورة: "أنا أفكر أنا موجود" . يعتبر الشك الديكارتي منهجاً جديداً ومبتكراً، فهو يشك في كل شيء، يوصله هذا الشك إلى النفي أو إلى الإثبات، فيقول: **"ليس بالأمر الجديد ما تبينت من أنني منذ حداثة سني قد تلقيت طائفة من الآراء الباطلة وكنت أحسبها صحيحة، وأن ما بنيته منذ ذلك الحين على مبادئ هذه حالها من الزعزعة والاضطراب، لا يمكن أن يكون إلا شيئاً مشكوكاً فيه جداً ولا يقين له أبدا. فحكمت حينئذ بأنه لا بد لي مرة في حياتي من الشروع الجدي في إطلاق نفسي من جميع الآراء التي تلقيتها في اعتقادي من قبل، ولا بد لي من بناء جديد من الأسس إذا كنت أريد أن أقيم في العلوم شيئاً وطيداً مستقراً" . ولهذا فقد رفض ديكارت أن يعتمد على ما تلقاه من أراء قديمة وسابقة.** [2]

حاول **"ديكارت"** هدم العالم الحسي بالشك وإعادة النظر إليه من جديد، فأصبح أب الفلسفة الحديثة ورائدها العقلي" يقول ديكارت" **الشك خطوة ضرورية لا بد من اتخاذها فخبرتي بالخطأ وتعرضي له منذ عهد بعيد واحتمال تجدده بفعل تلك الأحكام التي خضعت لها ولم أتبين صحتها، سواء كانت أحكاماً فرضها الغير، من معلمين، أو مرشدين، .... أم أحكاماً فرضها عليّ الحس أو الخيال وتعرضها للخطأ معروف، إن كل هذا يدعوني إلى الشك"** .ويقول **"هيغل"** (**1770–1830**) في ذلك: "**رينه ديكارت هو المحرك الأول للفلسفة الحديثة من حيث أنها تقيم الفكر أصلاً من أصولها...** وليس من إسراف البتة أن يتحدث الناس بإطناب عن أثر ذلك الرجل في أهل عصره وفي العصور الجديدة: **إنه بطل من الأبطال، لقد**

---

[1]- ادريس خضير، **دعائم الفلسفة**، ط1، المؤسسة الوطنية للكتاب ،الجزائر، 1992 ، ص 275.

[2]–عبد الله شمت المجيدال: **تطور الفكر الفلسفي، من الفلسفة اليونانية إل المعاصرة**، ط1، دار الاعصار للنشر والتوزيع، عمان، 2015، مرجع سبق ذكره، 173.

أعاد النظر في الأشياء من البداية)" والشك الديكارتي شك بنّاء؛ لأنه وليد تجربة شخصية عقليه وليس شكاً مطلقاً. وقد رفض" ديكارت" الأخذ بالتقليد وأقام فلسفته على الشك المنهجي، فشك في معارفه جميعاً، خاصة الحسية و الأحلام.[1] يمتاز "**الشك المنهجى لديكارت**"، بأنه ليس نهاية العقل الفلسفي بل هو البحث عن نقطة البداية، النقطة التي يصح للفيلسوف أن يبدأ عندها، فقد لجأ إلى الشك في كل شيء ، حتى في أبسط المسائل الرياضية ، "**ثم اتضح له أنه يشك و مادام هو يشك فهو يفكر**" ، لأن الشك نوع من أنواع الفكر، وبالتالي فإن هذا الشك المنهجي لا يرمى إلى هدم امكانية المعرفة كما هو الحال في الشك المذهبي، بل يرمى إلى المعرفة اليقينية وإقامتها على أسس سليمة.[2]

وفي نفس السياق، **تبنى الغزالي الشك المنهجي (الابتداء بالشك للانتهاء باليقين)** في كتابه (**المنقذ من الضلال)** حيث يبدأ بالشك في الحواس بأدلة متعددة، ويقدم أمثلة متنوعة في ها الإطار، منها أن الكوكب نراه بأحجام صغيرة بينما البراهين تثبت أنه أكبر من الأرض. ثم شك في الشعور لأننا نحلم ونعتقد أثناء الحلم أن ما نراه حقيقة واقعية ثم نستيقظ ونعلم أن ما عشناه كان وهماً. وانتهى به الأمر إلى عدم السماح لنفسه بتسليم الامان في المحسوسات واختار حاسة البصر وبدأ التجريب عليها، فوصل من خلال التجربة إلى عدم الثقة في المحسوسات حتى قال: " **لقد بطلت الثقة بالمحسوسات لأن حاكم العقل كذب حاكم الحس**" .[3]ويحدد قواعد الشك في الفطرة الأصلية والخروج من التقليد، وبعد أن رفض "**الغزالي**" المعلومات التي حصلها عن طريق الحواس بالتقليد والتلقين توجه إلى الشك في الحسيات والضروريات (العقليات)، لكنه شك في المعرفة الحسية، لأن الحواس عرضة للخطأ كما في خداع الحواس، فرأى أنه لا بد من الشك فيها حتى يستقل بفكره ويكون رأيه. فلا خلاص إلا بالاستقلال والشك، ويعبر عن ذلك في قوله " :**إن الشكوك هي الموصلة للحقائق، فمن لم يشك لم ينظر، ومن لم ينظر لم يبصر، ومن لم يبصر بات في العمى والضلال** ."

يقول في ذلك "**الغزالي**": "من أين الثقة بالمحسوسات وأقواها البصر، وهي تنظر إلى الظل فتراه واقفاً غير متحرك وتحكم بنفي الحركة؟ ثم بالتجربة والمشاهدة بعد ساعة تعرف أنه متحرك وأنه لم يتحرك دفعة بغتة، بل على التدريج ذرة ذرة، حتى لم تكن له حالة وقوف. هذا وأمثاله من المحسوسات يحكم فيها حاكم الحس بأحكامه، ويكذبه حاكم العقل ويخونه تكذيباً لا سبيل إلى مدافعته. فقلت قد بطلت الثقة بالمحسوسات أيضاً." **إذ رأى أن اليقين المنطقي يجب أن يقوم على الشك كمنهج في فحص الأفكار والتأكد من قابليتها للتعميم**. كما تطرق "الغزالي" إلى النور الإلهي[4] وتمكن الإمام (**الغزالي**) من الوصول إلى مرحلة اليقين فيقول :

---

[1]– المرجع نفسه، ص 174.

[2]– حسين على : مرجع سبق ذكره، ص 131.

[3]– محمد محمد الحاج حسن الكمالي: مرجع سبق ذكره، ص 150.

[4]– بلعقروز عبد الرزاق: **مدخل إلى الفلسفة**، مرجع سبق ذكره، نقلا عن الإمام أبو حامد الغزالي: المنقذ من الضلال ، مجموعة رسائل الإمام الغزالي، طار الكتب العلمية ، بيروت، ط1، 1994، ص 26.

"ورجعت الضروريات العقلية مقبولة موثوقاً بها على أمن ويقين، و لم يكن ذلك بنظم دليل وترتيب كلام، بل بنور قذفه الله تعالى في الصدور، وذلك النور هو مفتاح أكثر المعارف، فمن ظن أن الكشف موقوف على الأدلة المحررة فقد ضيَّق رحمة الله تعالى الواسعة.

3 .مصدرية المعرفة:

يخص هذا المبحث بدراسة الوسيلة أو الأداة أو المصدر الذي تتم عن طريقه تشكيل المعرفة الإنسانية، عبر تحديد (مصادر المعرفة) والأدوات المعرفية وتحديد الآليات التي تتيحها هذه المصادر للمعارف الكاشفة عن الواقع الموضوعي، وقد اختلف الفلاسفة في ذلك: فمنهم من ذهب إلى أن العقل هو المصدر الأول والأساسي للمعرفة) وهؤلاء هم **"العقليون"**، ومنهم من ذهب إلى أن التجربة الحسية هي المصدر الأول والأساسي للمعرفة ،وهؤلاء هم **"التجريبيون"**، ومنهم من ذهب إلى أن الحدس والإلهام هو المصدر الأول والأساسي للمعرفة ، وهؤلاء هم **"الحدسيون"**، ومنهم من جمع بينها وبين الوحي. والاختلاف في المصادر الأساسية للوصول إلى المعرفة، لا يعني القول بإلغاء المصادر الأخرى في حال إثبات إحداها، وإنما يعني القول ،بأن الأولوية في الثبوت هي لهذا المصدر أو ذاك. ولتناول هذه الاشكالية بالتفصيل سنقوم بعرض الاتجاهات الفلسفية بأصلها وافكارها .

أولا: المذهب العقلي:

العقلانية اتجاه فكري، يرى أن العقل هو المصدر الأول للمعرفة ويزعم أنه يمكن الوصول إلى معرفة طبيعة الكون والوجود عن طريق الاستدلال العقلي بدون الاستناد إلى التجربة البشرية، فأول شيء يجب على الإنسان معرفته هو أنه يمتلك ملكة التفكير و هي الأداة الأساسية في البرهنة، و المقياس الذي نميز به بين الأفكار الصحيحة و الأفكار الخاطئة، و بين الافعال الخيرة و الأفعال السيئة، فالإنسان في رأي اصحاب هذا "المذهب العقلي" لا يتلقى العلم والمعرفة من الخارج ، بل من داخل عقله هو ، وهذا العقل تميز **بمبدأ الهوية** ، كون الشيء هو نفسه ولا يمكن أن يكون غير ذلك، **وبعدم التناقض، والعلة والمعلول، حرية التفكير، والكلية مشتركة بين كل الناس،** [1]ويقول "الكندي": في هذا الإطار، **" أن العقل حر بسيط مدرك للأشياء بحقائقها".** و من رواد هذا المذهب **"رنيه ديكارت" ، و "سبينوزا" و "لايبنتز** " و **أفلاطون"** صاحب" **نظرية الاستذكار"** الذي قال أن : " **العقل هو الضمان الوحيد والضروري لإدراك المعرفة**" والمعرفة العقلية حسبه سابقة على التجربة الحسية، وقال "**ديكارت** " **"إن العقل هو أعدل قسمة بين البشر"** ، ويرى **"ليبنيتز** " أن "**جميع القضايا الصادقة يمكن معرفتها بواسطة "الاستدلال العقلي الخالص.** ولذلك فإن العقليون تصورا العقل على أنه ملكة فطرية. [2] و تتمثل أهم حججهم :في أن للعقل مبادئ فطرية و قبلية

---

[1]– حسين على : مرجع سبق ذكره، ص ص 134- 136.

[2]– يحي هويدي: **مقدمة في الفلسفة العامة**، ذار الثقافة للنشر والتوزيع، 1989، ص 138.

سابقة عن كل تجربة، و ليست متولدة من الحس. والحواس شيطان يضللنا ويوقعنا في الأخطاء ، وبالتالي يجب إخضاع كل شيء في الوجود للعقل لإثباته أو نفيه أو تحديد خصائصه، فالحقيقة من خلال هذا التصور، ليست ما نراه وما نحس به، فالحواس لا تدرك نفسها بنفسها وكل حاسة لا تستطيع أن تحس بحاسة أخرى، بالإضافة إلى ذلك، القدرة والعلم والادراك والخوف والخجل والعشق والغضب كل هذه الصفات لا تدرك إلا بالاستدلالات العقلية بينما الحواس عاجزة عن ادراكها، وإذا كان أحد يكتب أمامنا فالحواس لا تدرك إلا حركات اليد والخطوط المرسومة، وتعجز عما وراء ذلك من معاني، والعقل يتوصل إلى الاطلاع على قدرته على الكتابة ومعرفته العلمية .وكذلك عندما ننظر إلى السماء نراها عبارة عن قبة زرقاء تحتوى على كواكب شبيهة بمصابيح منيرة أو دنانير موزعة وهي ثابتة لا تتحرك، ولكن عندما ننظر إليها ببراهين العقل الذي يدرك أن قرص الشمس أكبر من الارض بأضعاف مضاعفة، وكذلك الكواكب الأخرى هي متحركة وليست ثابتة، [1] كذلك الطفل في ازدياد مستمر والحواس تراه واقفا.

وتحيل العقلانية إلى تلك" النزعة الفلسفية "التي تعتبر أن العقل أساس بناء المعرفة بما يتوفر عليه من **قواعد ومبادئ ضرورية (المنطق الأرسطي) وأفكار فطرية (المنهج الديكارتي) ومبادئ قبلية (الأطر القبلية الكانطية) غير مستمدة من التجربة.** و مبدأ العلية القائل أن لكل علة معلول و لكل معلول علة، ومن الأفكار الفطرية و البديهية فكرة وجود الله، و وجود الذات الذي مرده التفكير يقول ديكارت (انا أفكر فأنا اذن موجود أو (الأكبر يحتوي الاصغر) ويتحقق هذا بإقامة بين العقل والمادة علاقة العلة والمعلول.[2]

وقد اتفق العقليون على أن: العقل قوة فطرية مشتركة بين بين الناس جميعا وينطلق من مبادئ عامة، فالقول بأن (الكل أكبر من الجزء) أو (الشيء الواحد لا يمكن ان يكون موجودا وغير موجود في وقت واحد)، و كقضية الكل أكبر من جزئه، و أن ثلاثة عدد فردي، أن المستقيم ليس معوج، و أن الجسم ممتد، وكلها أفكار واضحة و بسيطة لا يشوبها الخطأ، وعليها إذن تنشأ المعرفة وتتكون الأفكار الصحيحة، مثل مبدأ الهوية القائل أن الشيء هو دائما ذاته ، و لا يكون شيئا آخرا، و مبدأ عدم التناقض القائل أن المتناقضين لا يجتمعان معا، كأن نقول (6=4+2) . فهذه المبادئ وغيرها مبادئ عقلية تتصف بأنها :معارف قائمة بذاتها، سابقة للتجربة وليست نتيجة لها، تتصف بالضرورة أي لا تحتاج على برهان آخر لإثباتها، ولا تختلف هذه المعارف باختلاف الناس أو بتغير الأزمنة والأمكنة، فالعقل قوة فطرية عند جميع الناس بغض النظر عن أجناسهم و ألوانهم وقيمهم، وهو ملكة ذهنية بها ندرك المعرفة ونصدر الأحكام ونحدد السلوك ، والعقل واحد بين الناس[3]،

كما أنه يتأسس على مبادئ عالمية كمبدأ الهوية ، لذلك اعتبره أصحاب المذهب العقلاني أن الفكر الصادر عن العقل فكر خالص يمكن الوثوق به ثقة مطلقة، لأنه يتسم بطابع الضرورة والكلية، وهاتان

---

[1]– إدريس خضير: مرجع سبق ذكره، ص 287.

[2]– إ.م. بوشنسكي: مرجع سبق ذكره، ص 25.

[3]– يوسف كرم : **تاريخ الفلسفة الحديثة**، مرجع سبق ذكره، ص ص 68-69.

العلامتان تكفيان للدلالة على صدق قضايا المعرفة من حيث إنها قضايا واضحة بذاتها وقبلية، أي سابقة عن كل تجربة، [4]لذلك فإن هذه المعارف هي معارف أولية قائمة بذاتها يقوم موقف العقليين على التسليم بأن للعقل مبادئ جاهزة، أو طرقا فطرية هي التي تقوده إلى معرفة حقائق الاشياء .إن العقليين لا يرفضون ما تقدمه به الحواس من معارف ومعلومات ولكن يقولون أنها معلومات لا ترتبط باليقين، وتبقى مصدر لفهم التصورات والأفكار البسيطة، وكمثال على ذلك : نحن نرى السراب على أنه ماء إلا أنه غير ذلك.ونرى الأرض ثابتة لكنها في الواقع تدور، وكذلك "حين نرى الشمس نتخيل أنها قريبة منّا في حين أنها تبعد بكثير عن كوكب الأرض، والسبب في هذا التصور الخاطئ هو الجهل بالمسافة الحقيقية التي تفصلنا عنها".

يدل هذا المذهب على ملكة وقدرة التفكير التي تميز الإنسان، كما يدل على النشاط أو الفاعلية التي يبني من خلالها الإنسان معرفته بالواقع. وذلك بإضفاء المعقولية على الظواهر، بربط بعضها ببعض بعلاقات سببية انطلاقا من قوانين وقواعد منطقية. فالعقل، هو الذي ينشئ المفاهيم ويصوغ القوانين عن طريق بناء منطقي. وبهذا يكون الاستنباط المنطقي والتحليل الذي يمثله العقل الرياضي قادرا على فهم الطبيعة لأنه منبع النظرية ومنبع الخيال والإبداع. وهذا ما ذهب إليه أيضا الفيلسوف "رونيه ديكارت" الذي دافع عن مقاربة جديدة للعلم والفلسفة، بحيث شدد على تحليل المشكلات المعقدة والمركبة وتحويلها إلى معطيات بسيطة، وعلى أهمية ضمان صدق الحلول التي يقدمها شخص ما بالاعتماد على العقل والادلة القاطعة بدلا من التقاليد والاعتقادات والأعراف السابقة، وغير ذلك. [1]

ولذلك استعمل "**ديكارت**" منهج الشك للتمييز بين الحقائق، وكان شعاره ضرورة البدء بالشك في الأشياء الحسية وأمور العالم المادي. وقال أن الحواس كثيرا ما تخدعنا وأن الموجودات الحسية واقعة في الأعيان خارج الأذهان إننا حين نشك في حقيقة الأشياء المعروضة على حواسنا فإننا نزيح كل معرفة غير قائمة على حدس من حدوس العقل على اعتبار أن "**الحدس**" هو الرؤية العقلية المباشرة التي يدرك بها الذهن بعض الحقائق لتجعل منه النفس يقينا لا يناقضه شيء أو هو نظرة من نظرات العقل تصل درجة وضوحه إلى حد يزول معه كل شك وهو عقلي لا يتعلق بالحواس ولا الخيال بل خاصية الذهن الخالص الرياضية لا على العالم التقريبي الذي تمدنا به إدراكاتنا الحسية .

و يعد كذلك الفيلسوف **الهولندي** " **باروخ سبينوزا** "(**Baruch Spinoza**) (**1632 – 1677**). من أهم رواد التغيير في تاريخ التفكير الغربي، وقد تطرق إلى المعرفة في سياقات متعددة، يعتبر كتاب "**الأخلاق**" من [*] أهم كتاب يلخص فيه "**سبينوزا**" مذهبه والأفكار التي طرحها عن العقلانية وكان

---

[4]– حسين على : مرجع سبق ذكره، ص 134.

[1]. – كريس هوريز إمريس ويستاكوف، ترجمة ليلي الطويل، **التفكير فلسفيا (مدخل)**، وزارة الثقافة السورية، الهيئة العامة للكتاب ، 2011، ص 121

[*]– وله العديد من الكتب، منها : "**رسالة في اللاهوت والسياسة 1670**"" **رسالة في مبادئ فلسفة ديكارت 1660** " **رسالة في إصلاح العقل**.

أول من فسر الكتاب المقدس تفسيراً عقلياً، يقول **"سبينوزا" " أن جوهرنا الحقيقى هو معرفتنا العقلية النشيطة التي تؤدي إلى إنهاء عزلتنا، وتسمح لنا بالمطابقة بين أنفسنا والطبيعة (الله)"** والمعرفة عند **"سبينوزا"** هي الإدراك الصحيح، فعبر عقلنا وعبر المعرفة العقلية النشيطة التي تكون بعلاقة بكل شيئ بالله، نصير أحرار لأن هويتنا عندئذ تضم الكل، وهكذا فقد كان **"سبينوزا"** فيلسوفا عقلانيا اعتقد أننا نتوصل إلى معرفة جوهر الأشياء عن طريق الحدس العقلي، وكان يعتمد المذهب الاستنباطي . [1] ومجمل القول، يدخل " التصور السبينوزي" ضمن التصور العقلاني الذي ينطلق من أن كل شيء في الوجود خاضع للضرورة بما في ذلك الإنسان.

كما أن أغلب فلاسفة العقلانية يعتبرون العقل أصدق وخير مقياس الحقائق ولا يؤدي إلى الخطأ إطلاقا فليس هناك تطابق بين الفكر والواقع وينبغي البحث عن اليقين الذي يكون فيه الفكر مطابقا للواقع بالضرورة وكما يقول ديكارت " أنا أفكر إذن أنا موجود " بمعنى أنا موجود حين أفكر ومن حيث أني أفكر وكوني أفكر، أن لي وجودا نفسيا ووجدانا أو وعيا وعليه فإن أول خطوة من خطوات معرفتنا هي اكتشاف وجود أنفسنا أو ذواتنا وأنه لا يجب الثقة في حكم حواسنا .

ثانيا: المذهب التجريبي:

إذا كان "المذهب العقلي" يركز على القدرات العقليّة في فهم الأمور والحقائق ، ويُبرز دور العقل أولويته على الإيمان والخرافات والاسطوريات والمظاهر الحسية والعالم الخارجي وفي قدرته ترجمة الوقائع والأحداث وبناء المعارف فإن" **المذهب الحسي"** على عكس ذلك، يرجع طبيعة المعرفة وقوانينها ومادتها إلى التجربة، لأنها مفتاح المعرفة الحقة، فلا **"يوجد شيء في العقل ما لم يوجد الحس"**، والتجربة التي مصدرها الاحساس هي المنبع والمصدر الرئيسي لكل الافكار . وقد قال الفيلسوف(**جون لوك(1704 – 1632.) John Locke** ": **"لا يوجد شيء في العقل إلا وقد سبق وجوده في الحس أولا" "لو كان الناس يولدون وكانت في عقولهم أفكار فطرية لتساووا في المعرفة"**. وبهذا يكون "لوك" من الفلاسفة التجريبيين الذين أكدوا على أولوية التجربة في مجال المعرفة الإنسانية، وهو يثبت مرار **أن " المحسوسات هي اساس تكوين الأفكار لأن العقل لا يمكنه أن يتصور الامور بدون حس، والتجربة هي وحدها التي تكون الافكار في عقولنا و المعارف الإنسانية"**،[2] فالإنسان (العقل) يلد صفحة بيضاء ليس فيه معارف سابقة عن التجربة و ذلك في قوله لا وجود لمعرفة خارج الواقع ولا وجود لمبادئ نظرية أولية، ورأى لو صح وجود معان فطرية وقضايا موروثة لتساوى في العلم بها الناس في كل زمان ومكان،[3] والعقل في هذه الحالة قابل أن يستقبل ما تزوده التجربة

---

[1]– غنار سكيربك، ناز غيجلي، مرجع سبق ذكره، ص 440.

[2]–إدريس خضير: مرجع سبق ذكره، ص 281.

[3]– يحي هويدي، **مقدمة في الفلسفة العامة**، ذار الثقافة للنشر والتوزيع، 1989.، ص 140

من مفاهيم ومبادئ والاحساس الذي ينقل إليه صور المحسوسات من ألوان وأبعاد وبالتفكير تنشأ الصور الذهنية من تخيل وتذكر وغيرها. كما أن الأحكام العقلية تتغير بتغير الزمان و المكان و تختلف باختلاف ظروف الأعمال و مجلات البحث و المعارف المكتسبة و إذا انطلقنا من هذا المثال التالي سنفهم تماما ما الذي يقصده "جون لوك" بالتجربة، **"الطفل لا يعرف النار إلا بعد لمسها"**.

تتمحور أفكار هذا المذهب، في تأكيد مصدرية المعرفة، أن الخبرة مصدر المعرفة وليس العقل، ومن اشهر الفلاسفة التجريبيين **"جون لوك"** الذي حاول في كتابه ، **"مقالة في التفكير الانساني"**، أن يرجع جميع التصورات والافكار على الحس. وهو أول من طبق الاتجاه التجريبي في الفلسفة. وكذلك **"جورج باركلي"** الذي كان يرى بأن **"أفكارنا هي ذاتها العالم الخارجي"** و" **ديفيد هيوم** "الذي اعتبر أن **"كل المعارف هي ذات أصول حسية، حتى المعارف العقلية هي ذات أصول حسية"**، وقد قسم الادراكات الحسية إلى **الانطباعات أو الاثار الحسية،** وهي إدراكات قوية الوضوح، **والافكار،** وهي ادراكات أقل منها وضوحا واضعف تأثيرا، وهذه الادراكات لها نفس المصدر وهو الخبرة الحسية .[1] ويرى أن "أفكارنا" ما هي إلا مجرد صور لانطباعاتنا الحسية ولا وجود لفكرة خارجة عن مجال المدركات الحسية، ويمكن للإنسان أن يحس ما شاء ولكن تصوراته لا تخرج عن الخبرات التي مارسها بالحس، فالفكرة التي نحملها لون البرتقالة أو طعمها أو شكلها ماهي إلا فكرة من فكرة عامة مؤلفة من عدة عناصر من لون ورائحة وشكل...،

و"يضيف هيوم"، أمثلة متنوعة بقوله، هل بإمكان الأعمى أن يعرف ما هو اللون والاصم ما هو الصوت؟ ولو أرجعنا إلى العمى بصره والاصم سمعه لأدرك الأول ألون والثاني الصوت، أما بدون ذلك فلا يمكن لأي منهما إدراك خصائص الحاسة المفقودة وهذا دليل قاطع على أن افكارنا لا يمكنها أن تخرج عن مجال الانطباعات الحسية.[2] وهكذا، فإنه لولا الأصوات ما سمعنا ولولا الصور، إذن فغياب الحواس يؤدي بطبيعة الحال إلى غياب المعارف **فالإنسان يدرك بالحواس وهي ميزان معرفة حقائق الموجودات،** لأنه من فقد حاسة ما فقد المعاني المتعلقة بها، وجميع أفكارنا تتطور و تتسع مع ما نكتسبه من خبرة في حياتنا اليومية فلو كانت المبادئ الكلية موجودة و المعاني الفطرية لتساوي في العلم بها جميع المخلوقات و لكان الحيوان أحق بهذه المعرفة فالمادة (التجربة) هي التي دفعت الإنسان إلى الازدهار و التقدم عبر التاريخ منذ استقر الإنسان في الأرض، إذن فالعلم في جميع صوره يرتد إلى التجربة و منه فالتجربة تعتبر هي مقياس المعارف الإنسانية. مؤكدا، بأن لا شيء من الأفكار يحقق لنفسه ظهورا في العقل ما لم يكن قد سبقه و مهدت له طريق انطباعات مقابلة له .

وفي هذا السياق، فقد أكد فلسفة هذا المذهب، على أن المعرفة مصدرها الحس والتجربة وليس العقل ومنهجها استقرائي وليس استنباطي، أي أن المعرفة تنتقل من أشياء معلومة إلى أشياء مجهولة بواسطة التجربة وبرزت أهمية كما اشارنا إلى ذلك، إلى **"جون لوك"، و"باركلي"، و"ديفيد هيوم"، و"ستيوارت مل"**، و هذه

---

[1]– محمد الشبه، مرجع سبق ذكره، ص 37.

[2]– إدريس خضير : مرجع سبق ذكرهن ص 282.

التجربة تنفي وجود معارف أولية بوصفها مبادئ معرفية، كما انها تبنى المعارف على الظواهر الحسية بالاعتماد على الطريقة الاستقرائية في الاستدلال والتفكير ، ستكون بذلك مفهوم السببية مرتبطة بالتجربة، حيث يقول الفيلسوف "**بيكون " إن المعرفة التي لا تستمد من التجربة ليست يقينية** ".[1].

وإذا كان المذهب العقلي يركز على العلة والمعلول بتصور الافكار لها صلة أي متصلة ببضعها البعض اتصالا ضروريا لا يقبل أي مناقشة، لأنها ضرورة عقلية غير مستمدة من الواقع التجريبي، فإن "**هيوم** " رفض أن تكون هناك ضرورة عقلية أولية، وقال أنه "لبد من اللجوء إلى التجربة الحسية لتفسير الضرورة العقلية، لأنها المصدر اليقني ،[2]وهكذا، فإن "المذهب التجريبي" حسب هذا الفيلسوف يتصل بأليات نفسية من أجل تفكيك الاعتقاد بقانون النسبية والضرورة، بوصفهما مجرد شعور يرسخه التكرار والتعود، ، فالطبيب يزداد اقتناعا بفاعلية جوائه كلما ازداد نجاحه حتى يتحول تخمينه الاول إلى يقين، [3]فجميع العمليات العقلية ردها "**هيوم** " إلى قانون تداهي المعاني إما بالتشابه أو التجاور في الزمان والمكان والسبب أو الأثر، فاللوحة المرسومة لبحر أو منزل تذهب بنا على الأصل أو تتداعي إلى الأصل، وذكر "المستشفى "مثلا يؤدي طبيعيا بنا مباشرة إلى التحري عن الأماكن القريبة أو الحديث عنها، وإذا فكرنا في الجرح مثلا لا نكاد نتوقف عن الالم الذي يتلوه، وبهذا يكون التداعي هو انتقال الذهن مما هو معطي في إدراكي الأني أو الحاضر إلى ما هو غائب عن إدراكي. [4] يقول رواد هذا المذهب، أن الفلسفات العقلانية لا تستطيع أن تبدع بالفطرة المعاني و التصورات و ليست لها القدرة على معرفة الصدق و أهملت الجانب المادي ولا يمكنها الوصول إلى المعارف. لهذا، رفض التجريبيون التسليم بالأفكار الفطرية الموروثة والمبادئ العقلية البديهية، والقواعد الخلقية التي لا تأتي اكتسابا، ويقول "**جون لوك**" : " لو **سألت الإنسان متى بدأ يعرف، لأجابك متى بدأ يحس" كما أنكروا الحدس** واعتبروا أن الإنسان قبل التجربة يكون صفحة بيضاء فهو لا يعرف شيئا ، إذ يبدأ في اكتشاف العالم الخارجي عن طريق الحواس ، كما أننا في الواقع نعرف **الملموس قبل المجرد، والخاص قبل العام** . فالأبيض ليس الأسود و اللذة ليست الألم، وهكذا، فالعقل يبدأ في تكوين المعرفة حينما يتزود بالإحساس، ونجد هنا **المقولة الشهيرة "لجون لوك** ": إذا سألك سائل: **متى بدأت تفكر، فيجب أن تكون الإجابة: حينما بدأت أحس.**[6] .

و يقول الفيلسوف "**جون لوك**"[5] في هذه النظرية، بأنه ليس في العقل شيء جديد، وذلك لأن لولا وجود الحواس لما كان للأشياء الخارجية فضلا عن وجودها في العقل، فقد أنكر وجود الافكار والمبادئ

---

[1]– عبد الله شمت المجيدل، مرجع سبق ذكره، ص 194.

[2]– يحي هويدي، مرجع سبق ذكره، ص 142.

[3]– يوسف كرم، **تاريخ الفلسفة الحيدثة**، دار المعارف، ط5، ص .181

[4]– عبد الرزاق بلعقروز، مرجع سبق ذكره، ص 81.

[5]– حسين على: مرجع سبق ذكرهن ص 133.

[6]– أزفلند كولبه، ترجمة أبو العلا عفيفي: **المدخل إلى الفلسفة**: ط1، بيروت، 2016. ص 222.

الفطرية في ميدان العلم النظري وميدان الأوامر الاخلاقية والعلمية على السواء، فكان انكاره هذا بمثابة إعلان صريح منه بإنكار كفاية العقل المحض، وعجزه عن الوصول إلى أي علم يقيني بطريق الفطرة، وقد تبعه في هذا الرأي كل من **الفيلسوف "هيوم وجون" "ستيورات ميل""** .

التوفيق بين التجربة والعقل:

بالإضافة إلى الأفكار التي قدمناها سابقا عن العقلانية والتجريبية، يمكن أن نضيف هنا المعرفة التي تعتمد على العقل والحس، ونستحضر في هذا الصدد، "**الامام الغزالي**"، **الذي يقول أن المعرفة تبدأ بالمعرفة الحسية التي يدرك بها الانسان ما حوله من اشياء وموضوعات خارجية، وهي سابقة عن الادراك العقلي أو النظري لأنها غريزية وفطرية، وبذلك فهو – الانسان– يدرك الاشياء الحسية بالاعتماد على الإدراك الحسي ، غير أن العقل يأتي ويلعب دورا مهما في تفعيل نشاط الإدراك العقلي بيحت يتخذ من الضروريات الطبيعية والمحسوسات مقياسا للنظر ويستدرج الحس منم النظر في المحسوسات إلى النظر في المعقولات، وكلما استمر الانسان في التفكير والاعتماد على العقل كلما ابتعد عن الحس والوهم وتقترب من الحقيقة**"، ولهذا فالمعرفة، عند "**الغزالي**" تقام على الحواس والعقل، غير أن العقل في رأيه هو مقياس كل حقيقة إنه يدرك الاشياء على حقيقتها، ومعنى هذا أن الغزالي يجمع بين المحسوسات والاستدلالات العقلية في المعرفة.[1]

وفي نفس التوجه، فقد ركز "**كانط** " في فلسفته على شروط المعرفة الإنسانية التي تتولد من التجربة الحسية و العقل، ويقول أن عملية المعرفة تبدأ من التجربة الحسية المتمثلة في الانطباعات التي تنقلها إلينا الحواس عن الاشياء والمواضيع. ولكن هذه المعرفة ليس لها معنى محدود إلا بتدخل العقل الذي يرتبها وينظمها وفق تصوّراته ومقولاته . فعالم الأشياء والظواهر كما تنقله لنا الحواس لا يمكن فهمها إلا بواسطة العقل الذي ينظّمها على شكل معارف بفضل مقولاته الأساسية كالسببية الإمكان، الضرورة. ويقول **كانط**" في هذا الإطار "**حدوس حسية بلا مفاهيم عقلية عمياء ومفاهيم عقلية بلا حدوس حسية جوفاء**"

واهتم "**بنقد العقل البشري**" في مختلف جوانب نشاطه والنقد عنده يدل على الدراسة التحليلية بقصد الكشف عن مقومات العقل البشري للوصول الى الأسس والمبادئ العامة التي يستند إليها العلم. و تساءل "**كانط**" عن المعرفة وعن حدودها وشروطها، الذي هو دون شك أقوى المفكرين في الفلسفة الحديثة الذين حاولوا **التوفيق بين المذهبين المتعارضين العقلي و التجريبي**، فالمعرفة عند "**كانط** " واقعة معطاة موجودة ومتحققة في العلوم ولذلك، يصبح العمل الفلسفي الرئيسي عنده نقد العقل الخالص والنظري ، أي تشريح المعرفة تشريحا منطقيا بقصد اكتشاف الاسس التي تقوم عليها. يقول "**كانط**"[2] أنه لا بد من الجمع بين

---

[1]– إدريس خضير : مرجع سبق ذكره، ص ص 285- 286.

[2]– محمد الشبه: مرجع سبق ذكره، ص 49.

التجربة والعقل لأن التجربة تتميز بالواقعية وهي واقعة لا يجوز الشك فيها، وهي موضوع ادرك حدسي وهي مادة المعرفة، بينما تتميز أحكام العقل بالضرورة، وتبقى هذه التجربة عمياء وغامضة لذا تتدخل الشروط والمبادئ الضرورية التي تجعل من التجربة مادة معقولة، والعلم الحق يجب أن يكون ضروريا وواقعيا معا.

و في نفس السياق، يرى **"كانط"** أن هناك معرفة قبلية وبعدية، أي قبل التجربة وبعد التجربة، كما يقسم ملكة المعرفة إلى ملكة المحسوسات التي ندرك بواسطتها الموضوعات وملكة الفهم التي نعرف بواسطتها هذه الموضوعات، وملكة العقل ويحاول لذهن بواسطتها تكوين أفكار، وهناك فرق في ما يسمى بإدراك الشيء وفهمه، لأن المرحلة الأولى هي المسؤولة عن تنظيم الانطباعات الحسية المتفرقة التي تقدمها التجربة على شكل مدركات حسية،[2] أي أنها تقدم لنا الموضوعات، بينما الفهم هو الذي يحول تلك المدركات الحسية إلى معرفة وذلك بواسطة مقولات قبلية تنصب فيها معطيات التجربة الحسية، فتتحول إلى معرفة، وهنا نعني بالفهم أنها تقوم بتعقل تلك الموضوعات.

ثالثا: الحدس :

يقصد بالحدس، لغويا الظن والتخمين والتوهم. أما الحدس اصطلاحا فله معاني أكثر دقة وصور متعددة، فقد أتخذه **"افلاطون"** طريق **"لمعرفة المثل"** وأصبح الحدس لديه أعلى من الاستدلال، والمعرفة لديه تتم بالتعقل المباشر، معرفة فردية والحدس يعتبره معرفة مباشرة ويقع على المبادئ الاولى والماهيات أو عالم المثل. واعتبر أرسطو الحدس أحد المعارف المهمة وسماه بحدس الماهية وجعله معرفة مباشرة، فهو عكس "افلاطون" يبقى مرحلة الحدس في الاستدلال حيث ربط بين الحدس وحسن الذكاء والفهم .[2] **ويطلق الحدس على عملية إطلاع النفس اطلاعا مباشراً على ما يمثله لها الحس الظاهر أو الحس الباطن من صور حسية أو نفسية، أو على كشف الذهن.**

وإذا كانت المعرفة عند أصحاب "المذهب التجريبي" هي الحواس، وعند أصحاب "المذهب العقلي" هي العقل، فإن وسيلة المعرفة عند أصحاب الحدسي، هي الحدس أو البصيرة، أو القلب أو العيان المباشر، وهو نوع من المعرفة المباشرة التي لا تحتاج إلى برهان أو دليل وبالتالي إلى الطرق التي تستخدم في إقامة البراهين، كالقياس بأشكاله المختلفة والاستدلالات والاستنباط..، يمكن القول، أن الحدس معرفة مباشرة تضع العارف (الانسان) إزاء موضوعه (أي موضوع المعرفة) أيا كان هذا الموضوع. وهو رؤية داخلية، الذي يعنى النظر إلى الداخل تربطنا بالعالم ، وهو شكل من أشكال النشاط المعرفي، أو المقدرة على فهم الحقيقة مباشرة دون

---

[1]- وليم كلي رايت: ترجمة، محمود سيد أحمد، **تاريخ الفلسفة الحديثة**، ط1،التنوير للطاعة والنشر، 2010، ص 263.

[2]– محمد الحاج حسن الكمالي: **محاضرات في الفلسفة الاسلامية، نظرية المعرفة في ثوب جديد**، ط1، مجد المؤسسة الجامعية للدراسات للنشر والتوزيع، **1993** ص 131.

استدلال منطقي تمهيدي[1] يقول "**اسحاق نيوتن**" في الحدس : "**لا يوجد اكتشاف عظيم تمّ من دون حدس جريء.**" من خلال ما سبق، يمكن القول، أن الحدس خاصة لدى ،" **أفلاطون وأرسطو**"، تصور فوري للمبادئ الأولى، وبالتالي تعبير عن معرفة أكيدة . ونأخذ مثلا على ذلك، أنظر إلى نفسك ، كيف تعرف أنك موجود ؟ لا يمكنك أن تعرف موجودك بالحواس كالعين والانف والاذن، لأنك لو أغلقت هذه الابواب كلها فستعرف رغم هذا أنك موجود، إذن أنت لا تدرك وجود نفسك الحواس، وأيضا أنت لا تدرك وجود نفسك بالبرهان عن طريق مقدمات تستنتج منها نتائج، أي أنك لا تعرف وجود نفسك بالعقل، إذن لابد من حضور وسيلة أخرى لتحقيق هذه المعرفة، خاصة في الحالة التي يمتزج فيها الشخص العارف بالشيء المعروف، حين يمتزج الشخص المدرك بالشيء المدرَك .

وهناك "**حدس حسي**" " **Intuition sensible**" نقصد به إدراكنا العادي بحواسنا، فحين "ادرك الأن" أن الحائط الذي أراه أمامي أبيض اللون، يكون ذلك حدسا، حسب المصطلح الفني، لأنني أدرك هذا الحائط إدراكا مباشرا . فإنا لم " أستنتج" أنه أبيض، و لم يقل لي أحد أنه كذلك، وإنما أراه بحواسي مباشرة. إن الانسان لديه ملكة مستقلة تمكنه من فهم الحقيقة وإدراك الواقع مباشرة، وهذه الملكة ليست حسية ولا عقلية وإنما هي حدسية مباشرة هو الإدراك المباشر عن طريق الحواس الإنسانية، مثل إدراك الضوء والروائح المختلفة.

وهناك أيضا "**حدس في المجال العقلي**"، يكون أساس للبرهنة والاستدلال ويسمى حدسا عقليا "**Intuition rational**" ويقصد به وصل العقل مباشرة غلى النتيجة المطلوبة. وهناك حدس في المجال الصوفي ، وذلك حين يؤكد المتصوف أن لديه معرفة بالله ، تختلف عن تلك المعرفة الاستدلالية المتدرجة التي نصل إلها عن طريق " البراهين" العقلية، فهو يشعر بحضور الله مباشرة.[2]

ومن أهم الفلاسفة الحدسين " **هنرى برغسون" Henri Bergson**" (**1859 -1941**) الذي جاءت فلسفته كرد فعل على سيادة "المذهب المادي" في القرن التاسع عشر، فقد رفض "برغسون" العقل الذي هو أداة العلم والمعرفة العلمية وقال بالحدس الذي يشكل أداة الفلسفة والمعرفة الفلسفية. فالمعرفة من الخارج هي معرفة العلم وأداتها هي العقل، **بينما المعرفة من الداخل هي معرفة الفلسفة وأداتها هي الحدس.** فالعقل لا يستطيع أن يصول ويجول في ميدان النفس أو في ميدان الحس الباطني [*] ، وهكذا فالحدس حسب

---

[1]– حسين على : مرجع سبق ذكرهن ص 139.

[2]– حسين على : مرجع سبق ذكره، ص ص 139-140.

[*]– يؤكد "**برغسون**"، **أن الحدس لا يتفق مع روح العلم**، فالعلم يصف العقل بأنه النواة المضيئة، إلا أن الحدس أفضل من العقل، ويرى أن دائرة العلم هي دائرة المادة، دائرة الكم والامتداد والمكان، ومنهج العلم هو التحليلي والتصنيف وأداته هي العقل، "**بينما دائرة الفلسفة هي دائرة الروح، دائرة الزمان والديمومة والكيف والتوتر،" ومنهج الفلسفة هو التعاطف الروحي وأداتها الحدس الذي يقوم الانسان عن طريقه بلون من الوان " الفحص الروحي " للواقع بحيث يشعر ويحس بنبضات قلب هذا الواقع.** وهكذا فإن المعرفة العلمية تنظر إلى الواقع من الخارج في حين أن المعرفة الفلسفية تستطيع أت تنفذ إلى "باطن" الاشياء. يمكننا القول ، أن الفرق بين المعرفة العلمية والمعرفة الفلسفية هو الفارق نفسه بين شخص يصف مدينة ما من الخارج " الخارج" وشخص يعيش في قلب المدينة ويجتاز شوارعها ويجوب متاجرها ويتعرف عليها من الداخل ، وهو

"برغسون " ضرب من الادراك المباشر لحياتنا الباطنية ولمجرى شعورنا الداخلي [1]كما يحتل الحدس في **فلسفة «اسبينوزا»** مكاناً هاماً بوصفه نوعاً ثالثاً من المعرفة، بل يعده أكثر أنواع المعرفة فائدة وأهمية، وبه يدرك جوهر الأشياء، فللحدس عنده طبيعة عقلية، والعقل يجد في الحدس أعلى صوره وأكملها.

رابعا، البرغماتية:

يقول رواد هذا المذهب، أن الحقيقة توجد في جملة التجربة الإنسانية لا في الفكر النظري البعيد عن الواقع، وأن المعرفة آلة أو وظيفة في خدمة الفرد في الحياة اليومية ووصف لكل من يهدف إلى النجاح، أو إلى تحقيق منفعة خاصة وأن صدق قضية **ما هو في كونها مفيدة للناس ولها صفة النفعية**، وأن الفكر في طبيعته غائي. **وكل القضايا الصحيحة أو الحقيقية لها أثار عملية، وكل القضايا التي لها اثارا عملية قضايا حقيقية وصحيحة.** و"مبدأ البراغماتية" هو أن معنى مفهوم ما هو أن يؤدي إلى نتائج عملية أو تجربة، التي **تنتج عن تطبيقية العملي**، يقول الباحث والفيلسوف **"شارل سندرس بيرس" أن "الحقيقة غاية، أي بحث"** [2] والفكرة التي لا يمكن اختبارها عن طريق الفعل تخلو من كل دلالة ومغزى،[3] وهكذا، فإن 'المنهج البراغماتي **"لا يهتم بمصدر الأفكار، ولا بكيفية ظهورها، وإنما يهتم بنتائجها العملية المؤثرة على السلوك والحياة".**

وقد جاءت البرغماتية، لتعريف الحقيقة بأنها " **التطابق مع الواقع"** وهذا ما يجعل من الفكر مجرد نسخة، من الواقع، ومن الحقيقة مجرد علاقة جامدة ساكنة، بينما الفكر مرتبط بالفعل، ولهذا ينبغي أن نعرف الحقيقة بواسطة نتائجها العملية: فالحق هو ما سينجح وهو المفيد وهو النافع، ففي ميدان التجربة النفسية والعقلية هو ما هو مفيد للفكر وما يزودنا بالشعور بالمعقولية وهو شعور بالراحة والسلام، [4] وبالتالي، **" إن كل فكرة لا تنتهي إلى سلوك عملي في دنيا الواقع، هي فكرة خاطئة وليس لها معنى** " إذن نفهم من هذا القول، بأن المعرفة وسيلة أو ذريعة لتحقيق أغراض عملية تفيدنا في حياتنا.

يرى رواد هذا المذهب، أن معيار صدق الآراء والأفكار إنما هو في قيمة أدائها العملي، وأن المعرفة أداة لخدمة مطالب الحياة، وأن صدق قضية ما هو كونها مفيدة ولها منفعة، لهذا فإن الشعار الرئيسي للمذهب البراغماتي يتجسد في القول التالي : **"المنفعة هي مقياس المعرفة الحقة".** والصدق ليس شيئا جاهزا موجودا امامنا، أي في العالم الخارجي ، بل على العكس من ذلك، شيء يحدثه الانسان، وهو توافق ناجح بين أغراضه وبين العالم، وعندما نتكلم عن الصحة لا نشير إلى شيء ما مستقل أو إلى جوهر موجود في أجسامنا يجعل

الفارق نفسه بين معرفتك بشخص ما حين تقتصر على النظر إليه، من "الخارج " فتصف افعاله وحركاته...إلخ وبين أن تنفذ إلى باطن ذلك الشخص عن طريق الحب، وفي هذه الحالة الاخيرة تدرك صميم وجود ذلك الشخص وتنفذ إلى ماهيته.

[1]– يحي هويدي: مرجع سبق ذكره، ص 151.

[2]– عمار الطالبي: **مدخل إلى عالم الفلسفة**، دار القصبة للنشر، الجزائر.، ص 237.

[3]– وليم كلي رايت: ترجمة، محمود سيد أحمد، مرجع سبق ذكره، ص 486.

[4]– **عبد الرحمان بدوي: مدخل جديد إلى الفلسفة، ط1**، وكالات المطبوعات، الكويت، 1975.، **ص 143.**

قلوبنا تنبض بانتظام، ويجعل دمنا يسير في دورته، والصحة في الاخير ليست سوى كلمة تعنى أداء اعضاء الجسم المتعددة لوظائفها العادية، ...والحقائق تتغير باستمرار .[1] فلاسفة هذا المذهب، يعتبرون المعتقد الديني صادقا، إذا ترتبت عليه آثار ونتائج عملية في حياتنا اليومية، و يقبلون التفكير المنطقي بشرط أن ينتهي إلى سلوك عملي، وكذا نشاط الحواس بشرط أن يكون له وغايات عملية شريطة أن ترتبط بالمبدأ التالي، "**المنفعة والقيمة والنجاح هي المعيار الوحيد للحقيقة،**" [2]

و قد قامت بنقد [*]المذهب العقلي بوجه خاص، فإذا كان المذهب العقلي يأخذ على عاتقه البحث عن ماهيات الاشياء ، فإن "البرغماتية" ترى أن هذه الماهيات العقلية لا وجود لها، بل الموجود هو الاثار السلوكية التي تحقق فيها الفكرة. و هي الحقيقة التي تكون بفضل الفعل والسلوك، وتنظر إلى الحقيقة أنها غير مطلقة، وتضع ثقتها في قدرة الإنسان على المساهمة الفاعلة في بناء المجتمع وتطويره، وحل المشكلات التي تواجهه، أو التخفيف من حدتها على الأقل.

لقد نشأت "البراغماتية" كمذهب عملي في الولايات المتحدة الأمريكية مع بداية القرن العشرين، وقد وجدت في النظام الرأسمالي الحر الذي يقوم على المنافسة الفردية مجالا واسعا للظهور والتطور ومن بين رواده: **شارل س بيرس(1839 – 1914)**، الذي كان أثره عميقاً في الفلاسفة الأمريكيين، وقد نشر بيرس مقال، بعنوان" كيف نجعل أفكارنا واضحة، ؟ "قال فيه إننا لا نعرف على وجهة التحقيق ما هي الكهرباء في حد ذاتها، أي أن فكرتنا عن الكهرباء غامضة، ولكن هذا الغموض يزول إذا وجهنا نظرنا إلى ما تؤديه لنا الكهرباء أو إلى ما تحققه من أغراض عملية، فدقة الجرس معناه أن المحاضرة قد انتهت، فسماعنا له أو اثره الحسي قد نسي واتجه ذهننا فقط إلى ما ترتب عليه من أثار عملية، ومن هنا فقد عرف بيرس الفكرة " أنها **"مجال الفعل".**[3] **وقال أيضا ": إن تصوّرنا لموضوع ما هو تصوّرنا لما قد ينتج عن هذا الموضوع من آثار**

---

[1]- وليم كلي رايت، مرجع سبق ذكره، ص 489.

[2]- إ.م . بوشنسكي: ترجمة عزت قرني، مرجع سبق ذكره، ص 158.

[*]- لقد رفضت الفلسفة البراغماتية الفلسفات التقليدية المجرَّدة التي ليست في خدمة الحياة، باعتبارها مذاهب مغلقة لأن الحلول فيها تبقى معلقة في فضاء العلل الأولى، والأسباب القبلية، فهي تشتق مفاهيمها لا من مثل العقل المجردة، أو انطباعات الحسية في الذهن، وتبتعد عن الحقيقة المتصلة بالمنفعة والغاية والبعد العملي النافع. و**"البرغماتية"** تحمل على الفلسفة التجريبية، أنها تركز على الحواس الخارجية فقط وتنكر قضايا الدين والايمان والنزعة الانسانية والعملية، وتحمل على الفلسفة العقلانية أو المثالية تقديمها لحلول مغرقة في التجريد وغير مجدية للفرد والمجتمعات، وتبتعد عن الإنسان وعن انشغالاته اليومية. لذلك حاولت تحقيق ما ينفعه بتأسيس منهجٍ جديد أو فلسفة عملية ذات منهجٍ عصريٍّ يُساير حاجات الناس المتجددة، وتقلبات رغباتهم اليومية؛ وهو منهجٌ يدعو إلى **الانصراف من الفكر المجرد إلى الفكر العملي**، بل. يقول **"وليام جيمس" يعتبر العقل عند "البراجماتية" أداة لفهم العالم وتغييره،"** وهذه البراغماتية ترى أن **"الحقيقة توجد من خلال الواقع العملي والتجربة الإنسانية"** كما أن أفكار الناس هي مجرد ذرائع يستعين بها الإنسان لحفظ بقائه وقد أصبحت الذرائعية طابعاً مميزاً للسياسة الأمريكية وفلسفة الأعمال الأمريكية كذلك، لأنها تجعل الفائدة العملية معياراً للتقدم بغض النظر عن المحتوى الفكري أو الأخلاقي أو العقائدي. و في هذا الصدد يمكن نستحضر هنا "شعار السياسة الامريكية " "**ليس لدينا اصدقاء دائمون و لا اعداء دائمون بل مصالح دائمة**".

[3]– يحي هويدي: مرجع سبق ذكرهن ص 157.

عملية لا أكثر ". وفق هذا الطرح، فإن :" **الحقيقة تقاس بمعيار العمل المنتج أي أن الفكرة خطة للعمل أو مشروع له وليست حقيقة في ذاته**". وبعده جاء " **وليم جيمس**"(**1842 – 1910م**) "**كتاب البراغماتية 1907**" وهو عالم نفسي وفيلسوف أمريكي من أصل سويدي بنى مذهب الذرائعية البرجماتية على أصول أفكار بيرس وأكد أن العمل والمنفعة هما مقياس صحة الفكرة ودليل صدقها، ذهب إن القول أن :" **الحقيقة الموضوعية لا وجود لها ولا يمكن العثور عليها**"، ويقول، تأمل أقدم الحقائق، فستجد أنها كما تسمى حقائق لأسباب إنسانية، أي لأنها كانت تشبع رغباتنا. والسبب في أننا نسمى الاشياء حقيقية هو" السبب في أنها حقيقية"، **أي لأننا اعتبرناها كذلك حسب تحقيقها لما نريده من افعال،...و"الافكار الحقة" هي الافكار المفيدة في الحياة،** ولو كانت الافكار الزائفة أو الخاطئة هي المفيدة لكان علينا أن نتجنب الحق وألا نسعى في طلبه، والحقيقة عملية والافكار تصير حقيقة بتحقيقها لوظيفة مطلوبة في التجربة الانسانية، وما هو حق يمكن أن يتغير، بل هو يتغير فعلا كلما تغيرت حاجاتنا وما يشبع رغباتنا وليس لنا أبدا أن نقيس الحق بأي مقياس أخر غير مقياس المنفعة في الحياة العملية. [1] ويقول:" أسمي الفكرة صادقة، حين أبدأ بتحقيقها تحقيقا تجريبيا، فإذا ما انتهيت من التحقيق وتأكدت من سلامة الفكرة، سميتها نافعة "و " تصورنا لأي شيء ندركه بالحدس ، **ليس في الواقع إلا أداة نحقق بها غاية ما** ".

وذهب أيضا ليوسع من معنى النتائج المترتبة على الفعل والسلوك، وقيل أنها تشمل النتائج والاثار المباشرة وغير المباشرة، ويؤكد أن العمل والمنفعة هما مقياس صحة الفكرة، ودليل صدقها، وذهب "**وليم جيمس**" إلى أن الحقيقة ليس إلا ما يقودنا إلى النجاح في الحياة والمعتقدات الصحيحة هي وحدها التي تنتهي بنا إلى تحقيق أغراضنا الفعلية، وذلك لان الحق لا يوجد أبدا منفصلا عن الفعل أو السلوك، فنحن لا نفكر في الخلاء وإنما نفكر لنعيش، وبالتالي فإن أفكارنا ومعتقداتنا ليس إلا وسائل لتحقيق أغراضنا في الحياة، فالعقل كله في خدمة الحياة والسلوك العملي . [2]

وهكذا، فالحقائق ترتبط بمنافع كل فرد، ولا وجود لفكرة حقيقية في ذاتها لان الفكرة تصبح حقيقة عن طريق أثارها. **يهاجم** "**وليم جيمس** " الصور الذهنية والعقلية، ويقول مهما بلغت من درجة الوضوح فإنها لا يمكن أن تحقق نتائجها الوظيفية إلا بالتجربة العملية. فالنار العقلية لا يمكن أن توقد خشبا واقعيا، والماء العقلي عاجز عن أن يطفئ نارا حتى ولو كانت هذه النار عقلية، يعارض فيه وحدة الوجود، ويؤكد في كتبه الدينية، أن الاعتقاد الديني صحيح؛ لأنه ينظم حياة الناس، ويبعث فيهم الطاقة. كما يقول "**وليم جيمس**" :" **إن آية الحق النجاح، وآية الباطل الإخفاق** " و" **الفكرة الصادقة هي تلك التي تؤدي بنا إلى النجاح في الحياة.**

---

[1]– عبد الرحمان بدوي، مرجع سبق ذكره، ص 146.

[2]– يحي هويدي: مرجع سبق ذكره، 158- 157.

إضافة إلى ذلك، نجد **الفيلسوف الأمريكي، "جون ديوي"** (**1856 – 1952**) . وهو فيلسوف أمريكي، تأثر بالفلسفة الذرائعية، يقول أن "كل شيء يتغير وانه لا يوجد ثبات أو سكون لا في ميدان المادة ولا في ميدان العقل والفكر نفسه ما هو إلا أداة من أجل العمل، ولا يبدأ الانسان في التفكير إلا حين يصطدم بصعوبات مادية يكون واجبا عليه التغلب عليها،" وأن الحقيقة هي ما ثبت بمبرر وأنها هي ما يؤهلها لأن تكون معرفة، ويبدو أن النجاح في التطبيق العملي، هو المعيار الحقيقة وليس تعريفا لها. وهكذا، فإن قيمة الحقيقة تتعلق بالعمل لأن معرفة الحقيقة هي في الاساس لإنجاز عمل، وتحقيق هدف. **يقول "ديوى " أن المعرفة كلها أداة للعمل، ومرتبطة بالوظيفة وهي تنو وتتغير وهذا بخلاف القدماء الذين ينظرون إلى الحقيقة نظرة سكونية،** [1] يقول **"ديوي"** "أن الانسان بدأ يفكر ابتغاء أن يعيش ويبقى في قيد الحياة، ويؤكد" **إن التفكير يتبع الكفاح والفعل يتبع التفكير**" ذلك أن الانسان لا يفكر إلا إذا كانت لديه مشكلة يحاول التغلب عليها. ولو لم تكن عنده مشاكل لكانت حياته عارية من التفكير ،[2] والفكرة ليست مؤكدة من الاحساسات، وهكذا، فإن إن الرجل المتوحش قد يكون قادرا على تكوين صورة عن الاعمدة والاسلاك ولكن إذا لم يعرف شيئا عن التلغراف، فلن تكون لديه فكرة، أو على الأقل ، فكرة صحيحة، عن الأعمدة والأسلاك، ذلك أن الفكرة لا يمكن عقليا أن تتحدد بتركيبها، وإنما تتحدد فقط بوظيفتها وفائدتها.

كما يرى أن حياة الانسان الذي لا يستطيع إيجاد وسائل أو ذرائع يحقق بها توافق وتكيف مع بيئته مصيره حتما الموت، أما الافكار فليست سوى هذه الوسائل أو الذرائع التي يستخدمها الانسان في حياته لتحقيق هذا التوافق، وينفي الاحكام العقلية فلا وجود لها في الواقع بل تنبع من الواقع. وهي لا تصبح أحكاما بمعنى الكلمة إلا إذا انتقلت إلى المرحلة العملية. **وما أشبه الفيلسوف الذي يصدر أحكاما واقعية من هذا القبيل بالقاضي الذي لا يصدر حكمه إلا بعد أن يكون قد اطلع على "معاينة النيابة" واستمع إلى اقوال الشهود، وعاش جو الجريمة التي يحكم فيها فيأتي حكمه الذي يصدره فيما بعد معبرا عن الوقائع التي يحكم فيها.** وهكذا، فإن الرابطة في الاحكام تؤدي وظيفة واقعية من حيث أنها اسناد، نقوم فيها بإسناد محمول على موضوع في الواقع التجريبي وعن طريق فعل أو سلوك عملي.[3]

لقد حاول الفيلسوف **"البريطاني شلر"**(**1864– 1937**)، إقامة مذهب انساني فلسفي يسمى البرغماتية لكن باسم أخر هو "**النزعة الانسانية**"[4] وهو يأخذ لنفسه تعبير **"بروتاجوراس المشهور" " الانسان مقياس كل شيء"** ويذهب ويقول، **"أن الانسان هو خالق كل الحقيقة"**، وبالتالي السؤال ماهي الحقيقة؟ يصبح سؤلا بغير معنى، إنما السؤال الذي ينبغي أن يسأل وأن يتكرر وضعه هو: ماذا نستطيع أن

---

[1]– عمار الطالبي: مرجع سبق ذكره، ص 238.

[2]– عبد الرحمان بدوي، مرجع سبق ذكره، ص 147.

[3]– يحي هويدي، مرجع سبق ذكره، 160.

[4]– إ.م . بوشنسكي، ترجمة عزت قربي: **الفلسفة المعاصرة في أوروبا**، سلسلة عالم المعرفة، 1978، العدد، 165 ص 161.

نفعل بها؟ يقول لا توجد حقيقة مطلقة، إنما كل حقيقة فهي إنسانيه ولا يقود" **شلر**" على الدقة أن كل قضية نافعة حقيقية، وإنما يقول إن القضية الحقيقية لا بد ان تكون نافعة، وأن كل قضية تمثل قيمة، وبالتالي فالحقيقة لها صفة ديناميكية وحركية مستمرة.

4. طبيعة المعرفة:

يمكن الاشارة منذ البداية أن **الواقعيين** يعتمدون على الحس لادرك الحقيقة وبناء المعرفة البشرية، **والمثاليين** يتخذون من العقل والروح الوسيلة الوحيدة لقيام المعرفة وغدراك الحقيقة .

1. المذهب المثالي:

يمثل الاتحاد الفلسفي الذي يرجع كل وجود **إلى "الفكر"**، وهو الاتجاه الذي يقول في شعاره الجوهري، **"أن وجود الاشياء ليست سوى شيئا أخر إلا أفكارنا نحن عليها**،" وهكذا فهي ترى الروح أو الفكر له أولوية في العملية المعرفية وأن المادة ثانوية. يرجع رواد المذهب المثالي طبيعة المعرفة إلى القوى المدركة، فالموجودات ليست سوى صور عقلية ومعاني مجردة قام العقل بتشكيلها والظواهر العقلية هي الظواهر الوحيدة التي يمكن أن تكون على يقين من وجودها وهذا ما قاله **"افلاطون" : أن صور المدركات الخارجية ماهي إلا ظلال العالم المثالي**. [1] وهي فلسفة متعالية تخضع فيها التجارب الحسية للمبادئ الجوهرية والحقائق المطلقة .[2]

لهذا يتفق أغلب الفلاسفة أن أصول المثالية تعود إلى "أفلاطون"، وأن هناك وجودا مثاليا للأشياء، المفارق للأشياء الواقعية. وأن الطبيعة الحقة للشيء لا توجد في الظواهر التي تقدمها الحواس، **بل توجد في المثل العليا**، وهو يعتقد بوجود عالمين: العالم الحقيقي الذي توجد فيه الافكار الحقيقية المستقلة والثابتة، والعالم الواقعي الذي هو ظل للعالم الحقيقي وهو متغير باستمرار . ويتفق "المثاليون" في تصورهم لطبيعة المعرفة، كونها تعتمد في وجودها على العقل أو الذهن. ولذلك، فإن الحقيقة النهائية، تكون في نظرهم ذات طبيعة عقلية أو ذهنية، والعقل يختلف اختلافا جذريا عن المادة ولا يمكن تفسير العقل بالمادة وإرجاعه إليها، وفعل المعرفة ليس مجرد استقبال سلبي للانطباعات [3] فالمثالية تصور لنا عالما مفهوما ومعقولا، و يكون الكون مرتبط ارتباطا وثيق بالذات العارفة، [4] فلن يكون ذلك بالبحث في العلوم الطبيعية بما فيها من اهتمام بالمادة والحركة والقوة، وإنما يكون بالاتجاه نحو الفكر والعقل، والالتزام بالقوى المثالية والقيم الروحية لدى الانسان).

---

[1]– إدريس لخضير : مرجع سبق ذكره، ص 285.

[2]– عبد اله شمت المجيدال: مرجع سبق ذكره، ص 206.

[3]– إ.م . بوشنسكي: مرجع سبق ذكره، ص 138.

[4]- منتير ميد، ترجمة فؤاد زكريا، **الفلسفة أنواعها ومشكلاتها**، دار نهضة مصر للطبع والنشر، القاهرة ، ص 80.

أ. **المثالية الذاتية:**

وهي المثالية التي تقيم طبيعة العالم على أسس وقواعد تستمد شرعيتها من الاختلافات في الوعي الفردي، وجاءت هذه المثالية على يد الفيلسوف " **باركلي**" (**1753– 1685**) ، الذي يلخص نظرته المميزة للمعرفة في عبارته المشهورة: (**أن يوجد هو: يعني أن يُدرِك أو أن يُدرَك**). إذ يرى، أن وجود الشيء هو إدراكه، وأن الشيء ليس له وجود مادي مستقل عن إدراكنا له، وأنكر وجود العالم المادي المستقل عن الإدراك. وأشار إلى" أن الجوهر المادي ليس مجرد وهم وباطل لأن هذه الصفات كلها لا وجود لها إلا في عقلي أنا، لأنها ليست في نهاية المطاف إلا أفكاري أنا وتصوري الذاتي عنه، فعلينا أن نتخلص منه ونلغى وجوده ومن أجل هذا سمي **بالفيلسوف " باركلي"** مذهبه باللامادية أي المذهب الذي يلغى وجود المادة أو الجوهر المادي ويلغى صفاته المادية ، لأنها قائمة خارج عقولنا مستقلة عنها .[1]

يعتقد أن الحقيقة النهائية ذات طبيعة نفسية أو روحية، وأن الكون تجسيد الذهن أو الروح، "فالمثالية" ترى إذا أردنا أن نعرف طبيعة الواقع يجب أن نتوجه على الفكر والعقل وكل الافكار والقيم الروحية لدى الجنس البشري، ذلك أن كل إدراك أو معرفة يقتضى ذاتا عارفة، والذات العارفة هي مصدر كل معنى وقيمة، والعلم يتجاهل هذه الحقيقة و كذلك المذهب الطبيعي، [2] ولا تعترف المثالية بمذهبها القديم والحديث بوجود مستقل للأشياء عن الفكر؛ لأن ما هو خارج الفكر لا يمكن أن يكون مستقلاً، ومن ثم لا يكون موجوداً، وعليه فكل تفسير وكل قضية إنما تفترض وجود الفكر. وتظهر بأنّ الفكر هي المنطلق لمعرفة الحقيقة أو الوجود.

إذا كان الفلاسفة يدعون لقيام جوهر مادي خارج عقولنا وتصورا هذا الجوهر وعاء يضم الصفات الطبيعية المختلفة من امتداد وشكل ولون ورائحة إلى غير ذلك من الصفات التي يصف بها الشيء المادي، وعلى العكس من ذلك، فقد ذهب **الفيلسوف "باركلي"** إلى أن هذه الصفات كلها لا وجود لها إلا في عقلي أنا لأنها ليست في نهاية الأمر إلا أفكاري أنا عن الشيء المادي أو صوري الذاتية، هذا الجوهر المادي وهم وباطل فعلينا أن نتخلص منه ونلغى وجوده، لأنه قائم خارج العقول،[3] ويقدم لنا مثلا لفهم هذا التوجه، **"سئل البستاني" لم يعتقد بوجود شجرة الكريز في الحديقة، سيخبرك أنه يعتقد بوجودها لأنه يراها، ويلمسها، وفي كلمة واحد لأنه يدركها، وهكذا فإن الوجود هو الادراك، فقد ألغى الوجودي وأستبدله بالوجود المحسوس أي ما يظهر لنا من الأشياء من خلال إدراكنا وحواسنا**، وكل شيء "نعرفه عن موضوع" حسب **"باركلي"** نتعلمه عبر "**إدارتنا الحسية**"، لذلك بدلا من التفكير أن الموضوع الحقيقي هو شيء غامض يختبئ وراء إرادتنا، لم لا نفكر مليا بأن هذا الموضوع لا شيء فوق أو وراء إدراكاتنا؟ فإذا طاب منى وصف

---

[1]– محمد محمد الحاج حسن الكمالي: مرجع سبق ذكره، ص 157.

[2]– هنتر ميد، مرجع سبق ذكره، ص ص 58- 59.

[3]– يحي هويدي: مرجع سبق ذكره، ص 227.

تفاحة، فكل ما أفكر به هو إدراج رائحته، طعمه، لونه، ملمسها وغير ذلك،...وبالتالي، فالتفاحة لا شيء فوق أو وراء مجموعة من الخواص المحسوسة المدركة. [1] وطالما أن هذه الخواص كما يقر كل شخص هي بالضرورة ذاتية – أي توجد في عقل الذات المدركة وفقط. ويقول، أن وجودها يتوقف على إدراكها وبالتاي يمكن أن توجد فقط في الفكر. عندما نقول شجرة ، فإنه لدينا إدراك حسي، والشجرة ليست سوى مجموعة من الاحساسات، والاحساس ذاتي، إذا الواقع ذهني والعالم ذهني، فليس ثمة وجود شيء بمعزل عن الذهن .

ب . المثالية النقدية.

ارتبطت تسميتها في العصر الحديث بـــ "**كانط**"، وهي ترى ضرورة البدء بفحص العقل، ومعرفة حدوده، ومعرفة قدراته قبل الوثوق به والاعتماد عليه واستخدامه في تحصيل المعرفة، والنقد، هو نقد العقل المجرد وتفنيد التدليل العقلي الخالص الذي لا يستند إلى الوجود الحسي والخيرة الحسية، **ويرى "كانط"، أن (التصورات العقلية تكون فارغة إذا لم ترتبط بالإدراكات الحسية، وأن الادراكات الحسية تكون عمياء إذا لم تعتمد على التصورات العقلية)**. واتسمت مثالية **"كانط"** بالنقدية لأنها تركز على وضع الحدود التي يجب أن يتعدها العقل، [2] و قد أثبت أن الذات العارفة بجانب ادراكها الحسي توجد فيها ملكة أخرى هي ملكة الذهن، وهي خاصة للإدراك العقلي لأن الشيء يدرك حسيا ثم يشكل تشكيلا عقليا عن طريق المعقولات، وعلى هذا، فإن العالم أصبح كله بواسطة الادراك الحسي والذهني مرتبطا بالذات العاقلة معتمدا عليها .[3] وإذا كانت عملية الإدراك لا تتم إلا بالترابط بين الصور العقلية والمدركات الحسية، فمعنى هذا أننا لا نستطيع أن نعرف إلا ظواهر الأشياء، أما الأشياء ذاتها فلا سبيل لنا لمعرفتها، لأن الحواس لا تقدم لنا إلا ما يظهر من الأشياء، والعقل لا يستطيع أن ينفذ من وراء الظواهر ليكشف الواقع الحقيقي.

ت - المثالية الموضوعية المطلقة :

وهي المثالية التي تجعل من الروح غير شخصية والعقل السامي أساس الواقع ، [4] ترتبط أساسا بالفيلسوف **"هيجل"**، الذي أكد أن استخدامنا لنظام المنطق بصورة دقيقة هو الذي سيوصلنا إلى الفكرة المطلقة. وإذا أردنا تعريف المثالية المطلقة، نقول أنها الاتجاه الفلسفي المثالي الذي يذهب إلى" **أولوية الروح على المادة**" ويرى، أن المصدر الأول للوجود ليس هو العقل الإنساني الشخصي، **وإنما هو العقل الكلي أو الروح المطلقة** ومن راودها "**أفلاطون**" "**ليبنتز**" و"**هيجل**" . فنقطة الانطلاق لهؤلاء الفلاسفة تعتبر رد فعل مضاد

---

[1]– كريس هوريز و إمبريس ويستاكوت: ترجمة ليلى الطويل، **التفكير فلسفيا** ، منشورات الهيئة العامة السورية للكتاب، دمشق 2011.، ص 81.

[2]– حسين على : مرجع سبق ذكرهن ص 148.

[3]– محمد محمد الحاج حسن الكمالي: مرجع سبق ذكره، ص 159.

[4]– عبد الرزاق بلعقروز: مرجع سبق ذكره، ص 93.

للمثالية الذاتية وقد حاولوا التوسط بين الذين اثبتوا وجود الطبيعة المستقل عن الذات وبين المثالية الذي قيدوا الطبيعة بالذات، وحاولوا أن يعطوا للعالم أو الطبيعة نوع من الاستقلال عن الذات.[1]

يقوم هذا المذهب على التماثل بين الواقع والفكر، (**فكلّ ما هو واقعي عقليّ، وكلّ ما هو عقلي واقعي**)، ويرى بأنّ العقل عبر تطوّره الخاص به ما هو إلا تعبير عن تطوّر الواقع. فالمثالية عند "**هيجل**" هي تعقيل الواقع، وهو يوكل للفلسفة مهمة القيام بهذا الوصل بين العقل والواقع، ...والغاية العليا من هذا التوافق هي الوصل إلى ضرب من التوفيق بين العقل الواعي لذاته و العقل الموجود في العالم- الواقع الفعلي -.[2]

وهكذا يتفق "هيجل "مع المثاليين جميعاً في نظرتهم إلى طبيعة المعرفة باعتبارها في النهاية معرفة عقلية أو روحية، وفي نظرتهم إلى الواقع باعتباره في النهاية تجسيدا للعقل أو الروح .ومن ثم فلا سبيل على فهمه إلا من خلال العقل، المصدر الوحيد للوجود والمعرفة معاً. فالكون على سبيل المثال، يدل على جملة الصفات المنطقية المعقولة التي يتحلى بها كل واقع حقيقي، والطبيعة هي تجلي الواقع في الكائنات العضوية، والروح هي الاتجاه الباطني لنشاط هذا الواقع. **إن جوهر الحقيقة روحي، والروح لا تستطيع أن تدرك نفسها إلا في علاقتها بعنصر مادي موضوعي**، وهذا هو علة وجود المادة أو كما قال "**هيغل**": "**المادة مظهر تتبدَّى به الروح**". ويقر "**هيغل**" بالهوية بين الفكر والوجود، وعنده أن ما هو موجود فإنه لا يوجد إلا بوصفه فكراً؛ ولهذا فإن المنطق الذي هو علم الفكر هو في الوقت نفسه علم الوجود.

2. المذهب الواقعي

إذا كان "المثاليون" يؤمنون بوجود حقيقية تعتمد في وجودها على العقل أو الذهن. و تكون في نظرهم ذات طبيعة عقلية أو ذهنية .فإن " الواقعيون" يعترفون بوجود عالم خارجي مستقل عن أي عقل يدركه، وعن جميع أفكار ذلك العقل، أي الوجود الواقعي الخارجي المقابل للموجود الذهني.

نقول "**الواقع الحاصل**"، و"**الواقعة ما حدث ووجد بالفعل**"، وهي مرادف للحادث، فنقول (حادثة) والواقعي هو المنسوب إلى الواقع ويرادفه الوجودي والحقيقي والفعلي، **ويقابله الخيالي والوهمي** ، تقول الرجل الواقعي، أي الرجل الذي يرى الاشياء كما عليه في الواقع، ويتخذ إزاءها ما يناسبها من التدابير دون التأثير بالأوهام أو الأحلام أو القيل والقال.[3] تقوم فكرة المذهب الواقعي في الفلسفة، على أن مصدر كل الحقائق هو هذا العالم الذي نعيش فيه (**عالم الواقع**)، أي عالم التجربة والخبرة اليومية، أن هناك عالم له وجود لم يصنعه أو يخلقه الإنسان، و لم يسبقه وجود وأفكار مسبقة.

---

[1]- محمد محمد الحاج حسن الكمالي: مرجع سبق ذكره، ص 159.

[2]- عبد الرزاق بلعقروز: مرجع سبق ذكره، ص ص 100-101.

[3]- محمد شطوطي: **المدخل إلى الفلسفة العامة**، ط2، الجزائر، ص80.

يرى المذهب الواقعي، أن ماهية المعرفة،" **ليست من جنس الفكر أو الذات العارفة، بل هي من جنس الوجود والواقع الخارجي**"، تتأسس على أن الاشياء الخارجية لها وجود عيني مستقل عن العقل الذي يقوم بإدراكها، وعن جميع أفكار ذلك العقل وأحواله، ومعرفة العقل مطابقة لحقائق الاشياء المدركة، فليس العالم الخارجي كما هو مدرك في عقولنا إلا صورة لهذا العالم كما هو موجود في الواقع، أي أن المعرفة هي إدراك الأشياء كما هي في الواقع بوسطة الإدراك. وحقائق الأشياء وصفاتها موجودة ومحققة سواء انعكست على صفحات أذهاننا أم لم تنعكس، **وبالتالي ستكون المعرفة هي انعكاس العالم الخارجي على العقل**[1] **و نسخة طبق الأصل في عقولنا لما هو موجود في الواقع الخارجي**"

والثابت حسب هذا المذهب، **أن العالم الخارجي هو حقيقة ما ندركه ووجوده مستقل عن إدراكنا.** كما أن عالم الواقع مستقر ثابت ويشتمل على جميع الحقائق، ونستطيع عن طريق التجريب العلمي الوصول إليها، واكتشافها. وليس الامور المدركة في التجربة سوى رموز في العقل، ولكنها رموز تدل على حقائق خارجية واقعية، وينقسم الواقعيون إلى طائفتين، فمنهم من المذهب "**الواقعي الساذج**" الذي يقول أن الاشياء هي في حقيقتها كما ندركها بالحس، ومنهم أصحاب المذهب "**الواقعي النقدي** " الذين يقولون إن حقائق الاشياء هي التي ندركها بالحس ثم نمحصها في ضور ما نعلم من قوانين العلوم الطبيعية، [2] كما توجد الأشياء في العالم الواقعي مستقلة عن الإدراك فما نراه أو نسمعه أو نلمسه أو نتذوقه أو نشمه ليس مجرد انطباعات بل هي الأشياء ذاتها.

وإذا جعل فلاسفة التوجه المثالي من المعرفة العقلية ملكة تنشر على الوجود الواقعي إطارات عامة مطلقة وصيغ كلية وقوالب مشتركة تصب فيها الاشياء والاشخاص على السواء دون تفرقة بين هذا وهذاك، وقد زعم بعض الفلاسفة أن وجود الاشياء والاشخاص مرهون بوضعها الذي تتخذه داخل الصيغ وتلك القوالب، فإن الفلاسفة الواقعيون جعلوا من الذات العارفة انعكاساً للشيء المعروف في الخارج، وهكذا، فإن مصدر المعرفة يقتصر على الشيء الخارجي الواقعي وستكون مماثلة للواقع وليس الفكر . والواقع يقوم بإحداث تجمعات وتشكيلات وترابطات واقعية يجدها الشعور والعقل جاهزة أمامه.[3] وهكذا فإن، المذاهب الواقعية لم تعر اهتماما إلى العلاقة بين "**الذات العارفة والشيء الخارجي المعروف**" . كما أن "**الوقعيون**" متفقون على إنكار المفاهيم المجردة والاقتصار على الادراك الحسي المطابق للواقع ومعرفتنا لا يمكنها أن تخرج عما تزودنا به موضوعات العالم الخارجي.[4] وإذ كانت المثالية تهتم بالفكر والإنسان . فإن الواقعية ترى أن الطبيعة البشرية جزء من الطبيعة والواقع ومن ثم، فإن الإنسان "**إنما هو محكوم بمبادئ الطبيعة أو الكون أو قوانين العالم** ".

---

[1]– عبد الرزاق بلعقروز: مرجع سبق ذكره، ص ص 102- 103.

[2]– أزفلند كوليه، مرجع سبق ذكره، ص 289.

[3]– يحي هويدي: مرجع سبق ذكره، ص 255.

[4]– إدريس لخصير : مرجع سبق ذكره، ص 283.

أ . **الواقعية الساذجة:**

تصير إلى فهم تلقائي مادي للعالم ، والاقتناع بأن كل الاشياء موجودة ومستقلة عن الوعي، [1]وهي تتفق مع ما يراه عامة الناس، و تشكل بذلك، الموقف التلقائي والانطباعي للإنسان، الذي يتوهم بأن الاشياء كما تبدو له هي نفسها وفقا لذلك الادراك، ويعتقد رواد هذا النوع من الواقعية الساذجة، **بأنها موجودة كما ندركها، "إنها واقعية العامة أو واقعية "رجل الشارع "** [2] مثلا إذا شاهدت كرة وقلت أنها كروية الشكل وبيضاء اللون، فهذا يعني أن هناك، شكلا كرويا ولونا أبيض لا دخل للذات و المدركات العقلية في حدوثهما. أين أصبح لدينا تقبل أو انفعال للأشياء الخارجية كما هي في الواقع كنسخ ذهنية. وفي هذا السياق، **يرى "هيجل" أن التسليم بالوعي المباشر هو الحقيقة ، يستلزم أن جميع الأوهام والخرفات سوف تصبح حقائق"**، فالهندوسي على سبيل المثال، يجد الله في البقرة، والسبب أن الفرد يؤمن بهذه **المعرفة ببداهة ويدركها إدراكا مباشرا،** دون أن يناقش وجودها وبدون تصرف وفي غياب طريق الاستدلال والقياس ،.

والفرد يثق ثقة عمياء في المعرفة التي تأتي له عن طريق الحواس، والواقع عنده ما تقدمه له الحواس، ولذلك يفترض افترضا بوجود العالم الخارجي في صورته المحسوسة، ويسلم به مقدما دون أن يناقشه ولهذا شاع تشبيه معرفة رجل الشارع أو المعرفة في الواقعية الساذجة "**بألة التصوير**" التي تنقل لنا نقلا أمينا الحقائق الخارجية دون ان تناقش وجود الاشياء أو تتصرف في الصورة التي تلتقطها منها. وبالتالي، فإن الادراك في "**الواقعية الساذجة**" يتميز بأنه **إدراك فوتوغرافي وألية التفكير**، ومعنى ذلك، أنه إدراك منسوخ من الواقع ومن الحقائق الخارجية .[3] وتمثل مرحلة سابقة عن التفكير الفلسفي وأيضا العلمي ولا يخضع للتفكير النقدي ويثق في مدركات الحس.. وهذا وغيره كفيل أن يفقدنا الثقة في احكام الحس وهذه الواقعية تقول أن أفكارنا صور مطابقة للأشياء في الخارج. ويعتقد رواد هذا التوجه أن أفكارنا صورة مكانية للأشياء في الخارج، **والذهن أشبه بالكاميرا التي تصور العالم الخارجي كما هو،** [3] وهكذا، **تصبح المعرفة مجرد نقل لما يجري في العالم من وقائع وأحداث.**

ب . **الواقعية النقدية التقليدية:**

تعتمد هذه المعرفة على العلوم الطبيعة بعد اخضاعه للنقد العلمي ، وخلاصة هذا المذهب أن الحس يدرك حقائق الاشياء، وهذه الحقائق تمحص في ضوء قوانين العلوم الطبيعة، ومن بين روداها الامريكي (**سنتانا) و"روجرز"، و"لونجس" و"برات" و"سيلرز"**. فالمادة في نظر هذه العلوم شيء حقيقي له وجود عيني

---

[1]– محمد شطوطي: مرجع سبق ذكره، ص 83.

[2]– عبد الرزاق بلعقروزك مرجع سبق ذكره، ص 103- 104.

[3]– يحي هويدي: مرجع سبق ذكره، ص ص 243-244.

[3]– حسين على: مرجع سبق ذكرهن ص 152.

خارجي ولكن الكيفيات التي تدركها الحواس ليست إلا من عمل الذهن، وتتميز "الواقعية النقدية" من "الساذجة" **برفضها التسليم بالوجود الحقيقي لعالم المدركات الحسية بغير اختبار نقدي لأنها تحاول أن تثبت الحقيقة بمناقشة الحجج المضادة ودحضها حتى يتسق منطق الواقعية مع النتائج التي ينتهي اليها نقد المعرفة** فإدراكي للون الأصفر في البرتقالة مثلا، يعني أن في البرتقالة لها خاصية تثير العين تحت ضوء ملائم فتجعل العين تحس باللون الأصفر، فلا معنى للون الاصفر إذن بدون وجود العين التي تراها وتفحصها، وهكذا، فالمعرفة عند الواقعية النقدية ليست إدراك صورة مطابقة للأشياء الخارجية ، بل إداك صورة معدلة بفعل العقل الذي يمكن له أيضا أن يتجاوز الجزئيات والمحسوسات إلى الكليات ومن خلال اختبار نقدي يتسق فيه منطق الواقعية مع النتائج التي ينتهي إليها نقد المعرفة وبالتالي **لا تثق بالمعطيات الحسية كما اشارت على ذلك الواقعية الساذجة.**

ج . الواقعية الجديدة:

ظهر هذا الاتجاه الجديد على يد فلاسفة الامريكان أمثال، "**سبولدج**"، "**بيكن**"، و"**مانتجوا**"، و"**هولت**"، و"**بري**"، و"**مارفن**"، فقد كان مدار فلسفتهم نظرية المعرفة ومحاولة فهم العلاقة التي تقوم بين الذات العارفة وموضوع معرفتها من غير تمييز بين العارف والمعروف، ورفضت التسليم بما رأته الواقعية النقدية التقليدية من وجود وسيط بين الشيء المدرك والذات العارفة – هو الصورة الذهنية في مذهب لوك — لأن الادراك في نظر "**الواقعية الجديدة**" يقع مباشرة وبغير وسيط، مما يجعل معرفتنا للشيء الخارجي صورة مطابقة لحقيقته في الخارج .. كما أن معرفة الإنسان للواقع لا تقتصر على مجرد تمثله للجوانب النفسية المحسوسة وحدها، بل تتعدى ذلك إلى إمكانية إدراكه للواقع الذاتي المتحول إدراكا فوريا بطريقة مباشرة.[1] ومن السمات الأخرى للفلسفة الجديدة اهتمامها الشديد بالعلم كالرياضات، والفيزياء الحديثة، لأن المعرفة الإنسانية كلها تعتبر وليدة التجربة وأن التجربة لا يكمن أن تخرج عن قالبها الحسي. فمعظم دراسات هؤلاء الفلاسفة، كانت حول مسائل المنطق ونظرية المعرفة والفيزياء، مع التركيز والاهتمام بالعلم و معرفة الأجزاء أكثر من الكل، والحرص على القيام بأعمال تفصيلية دقيقة أكثر مما تهتم بالآراء العامة والشاملة.

3. المذهب الوجودي:

لقد أشارنا من قبل أن الفلسفة نشاط معرفي يكمن في التساؤل عن ماهية كل الموجودات و تعتمد أساساً على التفكير، وأشارنا إلى اختلاف الفلاسفة في تحديد طبيعة الموجودات والمعارف وهذا، أدى لظهور وبروز عدد من الحركات والمذاهب الفلسفية المختلفة، ومنها "**فلسفة الوجود" أو الفلسفة "الوجودية"** التي

---

[1]- محمد محمد الحاج حسن الكمالي: مرجع يبق ذكره، ص165.

تهتم بالنزعة الانسانية، فهي ليست فسلفة الطبيعة والكون والمادة، ولكنها ببساطة **"فلسفة الإنسان"** التي ترى أن **"الوجود تسبق الماهية"**، وهذا بتغيير العلاقة القديمة بين الوجود والماهية، واعتبار الوجود بدل ذلك وسيلة لتحقيق الماهية، فالوجود بهذا الطرح، هو ذلك الاستعداد الواقعي الذي أملكه لكي أهب نفسي ماهية بواسطة فعل، بإمكاني أن أنفذه،[1] وهذا عكس الفلسفات السابقة التي تؤمن بأسبقية الماهية، **بمعنى أن الانسان يوجد أولا ثم يعرف نفسه**، ويحتك بالعالم الخارجي ، فتكون له صفاته، ويختار لنفسه أشياء. تقوم هذه الوجودية بالتركيز على مفهوم جوهري يقول **" أن الإنسان كفرد يقوم بتكوين جوهر ومعنى لحياته"**، ووجهة نظر كهذه، كان لها تأثير كبير على المدارس الفكرية والفلاسفة مثل **"جان بول سارتر"**، **"مارتن هيدجر"**، **"كارل كاسبيرز"**، **"ألبير كامو"**، **"جبريل مارسيل"** وغيرهم. وقد جعلت الأشياء الخارجية مستقلة عن الذات العارفة، و اعتبرتها مصدر الحقيقة .

برزت هذه الوجودية مع الحروب وهيمنة الكنيسة والدين[*] على الفرد، حيث كثر الموت وأصبح الفرد يعيش وحيدا ويشعر بالعبثية والقلق، أي عدم وجود معنى للحياة، فأصبح عند الفرد حالة تسمى القلق الوجودي، ففي الحرب العالمية الثانية على سبيل المثال، فقد الإنسان حريته وأصبح لا يشعر بالمسؤولية ونشأ شعور باليأس،. وبذلك فقد أصبح هناك حاجة فكرية لإبراز قيمة الوجود وأهميته وتناول مشكلات وجودية للإنسان مثل مشكلة الحياة ومشكلة الموت والالم والقلق والحرية.

وهذا يعني، أن الإنسان حسب الفيلسوف **"جون بول سارتر"[*]** (**Jean-Paul Sartre**) ليس سوى ما يصنعه لنفسه، وهذا الانسان مشروع يملك حياة ذاتية، ويقول أيضا، إذا كان الوجود أسبق على الماهية، فالإنسان مسؤول عما هو عليه، ولا يستطيع الهروب من المسؤولية الكاملة، **" كل فرد وصيا على نفسه مسؤولا على نفسه مسؤولية كاملة"** وهذه المسؤولية لا تخص فقط الفرد بل مسؤولية كل الناس،

---

[1]– محمد بهاوي: مرجع سبق ذكره، ص 81.

[*]– يجب الاشارة هنا إلى أن الوجودية تنقسم إلى قسمين: (**وجودية) ملحدة**، و(**وجودية مسيحية**). 1- الوجودية الملحدة: ومن روادها **"هيدغر" و"سارتر"**، يقر رواد هذا المذهب بأن الإلحاد أسمى تعبير عن الذاتية الفردانية الحقة. إنكار تام لوجود الله و نفي أي تواصل بين الله و الإنسان، وترى أن السلطة الدينية تحد من حرية الانسان. في حين، **تشير الوجودية المسيحية، (غابريل مارسال وياسبرز)** إلى مسألة المسيحية والوجودية التي تتطلب تواصل مع الإيمان، لقد كان تأثير المسيحية على (**كير كيغارد**) (**Kierkegaard**) صريحا من خلال فكره مع الخوف الدائم من الله. فتوجهه الديني جعله يحصر الحياة الحقيقية في المسيحية .

[*]– **جان–بول شارل ايمارد سارتر(1905 – 1980)**، هو فيلسوف وروائي وكاتب مسرحي وناقد أدبي وناشط سياسي فرنسي. بدأ حياته العملية استاذاً ودرس الفلسفة في ألمانيا خلال الحرب العالمية الثانية .حين احتلت ألمانيا النازية فرنسا، انخرط "سارتر" في صفوف المقاومة الفرنسية السرية. وقد التحاق السياسي باليسار المتطرف وكان دائما يرفض التكريم بسبب عنده وإخلاصه لنفسه ولأفكاره ومن الجدير وقد رفض **استلام جائزة نوبل في الأدب 1964**، وعرف "سارتر" واشتهر بفلسفته المسماة بالوجودية . ومن أهم أعماله الأدبية والفلسفية : **الوجود والعدم (1943) والكتاب المختصر الوجودية مذهب إنساني (1945) أو نقد العقل الجدلي (1960) وأيضا الحائط أو رواياته مثل الغثيان (1938)والثلاثية طرق الحرية .(1945) كتب "سارتر" أيضا في المسرح مثل الذباب (1943) والغرفة المغلقة (1944) والعاهرة الفاضلة (1946) والشيطان والله الصالح (1951) ومساجين ألتونا (1959)** .

والانسان لا يستطيع تجاوز ذاتية الانسانية من جهة أخرى، لأن الصورة التي نكونها ليست صورة تخص الفرد فقط ولكنها تخص كل الناس جميعا وكذلك العصر .[1]

وهكذا فالمعرفة الوجودية، هي معرفة الذات الحقيقية وشعوره الذاتي وقد **عكس** رائد هذا المذهب **"سورين كير كيغارد"** (**Søren Kierkegaard**) (**1813 -1855**) وهو فيلسوف ولاهوتي دنماركي كبير، مقولة ديكارت الشهيرة" **أنا أفكر إذا أنا موجود**" وقال يجب القول " **أنا أوجد حتى أفكر لأن الحقيقة مرتبطة بالإنسان**" وهذا يقودنا بالتسليم بالطرح التالي: **فلسفة الوجود تبدأ بوجود الفرد لا بوجود الفكر**. بمعنى أن الوجود يسبق الماهية، فالفرد يظهر أولا ثم يختار ما يكون عليه، ويعرف ذاته ويكونها ويطورها، تمتاز هذه الوجودية بنظرتها لنشاط الانسان وتصرفاته .وهذا يكون بفعل الاختيار الذي يحرر الذات من مباشرة اللذة ومن مباشرة التأمل أو التفكير المحض معا، وهكذا يصبح **"الاختيار"** المقولة المركزية للمفكر الاخلاقي وفعل الاختيار هو في نهاية الامر فعل لتقوية لما هو أخلاقي،[2]

يجمع الكثير من الفلاسفة على أن عن "الوجودية"، شكلت أحد التيارات الفلسفية التي ظهرت في القرن العشرين وتتبنى فكرة أن الإنسان يمتلك حريته بالكامل وأنه صاحب تفكير وحرية وإرادة واختيار. يمكن تلخيص شعارها " **ان الانسان ليس الا مشروع الوجود الذي يتصوره ووجوده هو مجموع ما حققه، وهو نفسه ليس إلا مجموع أفعاله .. ومجموع أفعاله هي حياته .. فهو مجموع أفعاله .. وهو حياته**" . إنها فلسفة تحيا الوجود وليست مجرد تفكير في الوجود،[3] و تميل إلى الحرية التامة في التفكير بدون قيود كما أنها تؤكد على تفرد الإنسان.

يقول الفيلسوف **"جون بول سارتر"** أن هناك شيء محكوم على الإنسان أن يكون حرا، لأنه ما إن يُلقَى به في هذا العالم حتى يكون مسؤولا عن كل ما يفعله. لأنا قراراتنا هي السبب الوحيد في كوننا مهمين، "يقول سارتر" وهو يدافع عن الوجودية، "إن الوجودية فلسفة متفائلة وليس متشائمة ، لأنها في صميمها تضع الانسان مواجها لذاته ، حرا، يختار لنفسه ما يشاء، وهذا أمر مزعج لا يعجب بعض الناس"،. ولو تناولنا أيا من الاشياء المصنوعة، لنأخذ **السكين مثلا**، الذي صنعه حرفي، وأن هذا الحرفي صاغه طبقا لفكرة لديه عن السكين، وطبقا لتجربة في صنع السكاكين ، وأن هذه التجربة اكسبته معرفة هي جزء لا يتجزأ من الفكرة السابقة التي لديه عن السكاكين، والتي لديه عن السكين الذي سيصنعه، وأن الصانع كان يعرف لا شيء، سيستخدم السكين، وأنه صنعها طبعا للغاية المرجوة منها، وإذن فماهية السكين مجموعة صفاتها وشكلها وتركيبها والصفات الداخلية في تركيبها وتعريفها، – كلها سبقت وجودها– وبذلك يكون لهذا النوع من الشكاكين وجودا معينا خاصا بها. بمعنى، أن السكين بالنسبة لي هي مجموعة من التركيبات والفوائد ونظرتي

---

[1]– جول بول سارتر: ترجمة عبد المنعم الحفني، **الوجودية مذهب انساني**، ط1، 1964، ص ص 15– 17.

[2]– عبد الرحمان بدوي: **دراسات في الفلسفة الوجودية**، مرجع سبق ذكره، ص 60.

[3]– عبد الرحمان بدوي: **دراسات في الفلسفة الوجودية**، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت ، ص 25.

للأشياء بهذه الطريقة نظرة تكنيكية، يسبق فيه الانتاج على وجود الشيئي وجودا حقيقيا. أي أنه قبل أن يوجد الشيئي لا بد أن يمر على مراحل عديدة في الانتاج.[1] وبالتالي بوصفه موجودا لا بوصفه ذات مفكرة. إن الانسان حسب سارتر" **الإنسان محكوم عليه أن يكون حرا ، لأنه ذات مرة ألقي في العالم ، وهو مسؤول عن كل ما يفعل**". و هذا الإنسان "مسؤول مسؤولية كاملة عن طبيعته واختياراته.".

لقد اشارا رواد الوجودية، أن الحقيقة ذاتية وأن **الذاتية هي "الحقيقة"** وبعبارة أخرى، **"أنا لا أعرف الحقيقة إلا حين تصبح حياتي في ذاتي"** . والحقيقة هي فعل الحرية، والحقيقة لا توجد للفرد إلا من حيث هو أنتج بفعله شيئا .[2] وهذا القلق مبعثه أيضًا من كون هذا الإنسان الوجودي في مسئوليته هذه ليس له مرجع يرجع إليه، فهو لا يستمد قواعد هذه المسئولية ولا أطرها لا من دين ولا من مجتمع؛ لأنهم يلغون هذه الضوابط والقواعد التي تحدد نظلم المجتمع فوجوده هو الذي يملي عليه هذه المسئولية، وهو الذي يحددها، فلا بد إذن أن يكون ذلك باعثًا على القلق، وهكذا، فإن هذا المذهب يحرر الإنسان من كل القيود؛ لا قيود للدين ولا قيود للأخلاق، ولا قيود للمجتمع، ولا يعرف خيرًا ولا شرًّا، وإنما وجوده هو الذي يرشده إلى ما يفعله، و لقد أنكرت الوجودية القيم الدينية فهي لا تعترف بها بل الإنسان عندهم حر في اعتناق ما يراه من أفكار.

يقول **الفيلسوف "كيركغارد"** مادام الفرد هو وحده الذي يوجد، لهذا كان من الاصح بلا شك أن نتحدث عن **"منهج وجودي"** بدلا من الحديث عن فلسفة وجودية، وإقامة علم الوجود على التجربة أو أن نفهم أن الفلسفة ليست إلا صورة أو أداة للمنهج، ووسيلة كسائر الوسائل وليست غاية لان كل شيء يتعلق بالعمل والحياة وليست عمل نظريا وإنما عمل عملي، وبالتالي، فنحن **"لا نوجد لنتفلسف بل نتفلسف لنوجد ولا تساوى الفلسفة شيئا إن لم تكن تعبيرا ووسيلة حياة في نفس الوقت".**[3] **وقد ثار في وجه "هيجل"** الذي شيد فلسفة تتألف من تصورات ومفاهيم عقلية مجردة بربط بيتهما بمنطق محكم هو الديالكتيك وتسوده الروح المطلقة الكلية، كل ما هو موجود عقلي وكل ما هو عقلي موجود، قائلا" **لا يمكن أن يكون هناك مذهب في الوجود" لأن المذهب يقوم حائلا بين الفيلسوف وبين الموجودات والفلسفة ليست أقوالا خيالية لموجودات خيالية بل الخطاب فيها موجه إلى كائنات موجودة، وليست بحثا في المعاني المجردة.**[4] **ويقول أيضا، أن الكليات المجردة خاوية من كل معنى واقعي** . فنظرية الوجود التي بلورها "**الفيلسوف هيجل** " نظرية متماسكة ومبنية بناء محكنا كما يحدد ذلك الفيلسوف " **كيركغارد**".[5] في كتابه " **حاشية نهائية غير علمية للشذارت الفلسفية**" إلا أنها نظرية مجردة، متحققة بشكل موضوعي يتجاوز إرادة الإنسان وقناعاته

---

[1]– جول بول سارتر: ترجمة عبد المنعم الحفني، مرجع سبق ذكره، ص 18.

[2]– عبد الرحمان بدوي : مدخل إلى الفلسفة ، مرجع سبق ذكره، ص 149

[3]– ريجيس جوليفيه، ترجمة فؤاد كامل، **المذاهب الوجودية من كير كيجور إلى جان بول سارتر**، دار الكتاب ، بيروت، 1988، ص 46.

[4]–عبد الرحما بدوي: **دراسات في الفلسفة الوجودية**، مرجع سبق ذكره، ص 21.

[5]– عمر مهيبل: **إشكالية التواصل في الفلسفة الغربية الحديثة** ،ط1، منشورات الاختلاف، الجزائر، 2005، ص 123.

وهكذا، فإن طبيعة الحقيقة مرتبطة بالصورة اليقينية الحية الموجودة في الذات وليس الموضوعية. لأن الواقع هو أن الانسان لا يختار إلا نفسه، وهو الصانع لماهيته. ويكون موجودا بالقدر الذي يحقق به هذه الماهية.[1] وبالتالي، فمهمة الفيلسوف كما يقول **"كيركغارد"** ، **"أن أجد حقيقة خاصة بي أنا، أن أجد الحقيقة التي من أجلها أحيا وأموت"**. لذا، فإن إنتاجه الفلسفي جاء تعبيرا عن قناعاته الخاصة التي تجتزا التفكير في حده المجرد فتصير فعل التفكير،...هذه الحقيقة حقيقية مفردة تنبض بالحياة وتناقضاتها. [2] **لأن "الحياة ليست مشكلة نحاول حلها بل هي حقيقة يجب علينا اختبارها"**.

و من أبرز نتائج القول بأسبقية الوجود على الماهية "**فكرة الحرية**"، كون الإنسان لم يكن شيئًا في بدء وجوده و مادام الانسان في بداية وجوده ليس شيئا ومادام هو الذي يصمم نفسه، **فلا بد أي يكون حرا، بل هو الحرية نفسها**، ونحن وحدنا مع هذه الحرية ولا عذر معها ولا تبرير ولا فرار وبهذه الحرية يخلق الانسان نفسه بنفسه.[3] إن الحرية تتحقق في اختيارها وممارستها وعندئذٍ يكون الإنسان مسؤولاً عنها وهذه الطريقة الفردية للتعبير عن الوجود هي الطريقة الوحيدة للنهوض وتجاوز المعاناة والموت والقلق. وهذا المذهب الفلسفي الذي جعل حرية الإنسان غايته، يرتب على هذه الحرية الفردية مسئولية، ويدعو إلى ضرورة تحمل هذه المسئولية؛ والالتزام.

يقول **"سارتر"** أن الحرية تتكشف للإنسان بواسطة القلق. والقلق هو كيفية وجود الحرية باعتبارها شعورا بالوجود، وكل فرد له أن يتصرف وكأنه هو الموجود والشيء الماثل أمامه بلا أي شيء أو موضوع كان قبله، ...لا خالق ولا شريعة ولا قانون ولا بشرية، فعلى كل إنسان أن يتحرر ويعيد النظر في المجتمع الانساني الذي يعيش فيه، ولا يلتزم بشيء من التقاليد والعقائد والفلسفات، **لأنه مطلق الحرية في اختيار ما يشاء حتى الانتحار**. فالحرية مبدأ أساسي أيضا في نظر فلاسفة الوجودية ، لكن الحرية عندهم **"حرية مطلقة"** ليس عليها قيود أو ضوابط[4] ونادى **" سارتر "** بالحرية، **وأعتبر أن صديقه هو صديق الحرية، وعدوه هو عدو الحرية،** وحارب النازية ووقف مع أهل المجر في ثورتهم ضد الشيوعية، وأنتقد بصفة جوهرية سياسية أمريكا ضد الزنوج، كما ساندا ثورة التحرير الجزائرية ضد الاحتلال الفرنسي.

لقد تعرضت الوجودية إلي **"انتقادات كثيرة"** منها أنها أعلت من شأن الإنسان والانسان ليس وحده في هذا الكون بل وجوده مرتبط بوجود أشياء أو كائنات أخري يتعامل معها و يتفاعل معها. كما أنها أهملت القيم و الأخلاق و الدين، إن الوجودية تقول إن عدم وجود الله معناه عدم وجود القيم المعقولة كذلك، وعدم وجود الخير بصورة مسبقة قبلية ، لهذا فهناك من يرى فيها ممارسة لتقوية الروح الفردية الحالمة،

---

[1]- ريجيس جوليفيه، ترجمة فؤاد كامل، مرجع سبق ذكره، ص 36.

[2]- عمر مهيبل: مرجع سبق ذكره، ص 124.

[3]- عبد الرحمان بدوي: **دراسات في الفلسفة الوجودية**، مرجع سبق ذكره، ص 263.

[4]- ريجيس جوليفيه، ترجمة فؤاد كامل، **مرجع سبق ذكره**، ص 135.

التي تبتعد عن المجتمع وعن قيمه وتقاليده، خاصة أنها تنكر الوجودية لفكرة الله، وتنكر للقيم الالهية. لا شك، أن الإسلام يرفض الوجودية بجميع أشكالها ويرى فيها تجسيداً للإلحاد. أو أن قضايا الحرية والمسؤولية والالتزام التي تدعو إليها الوجودية غير مقيدة بأخلاق أو معتقدات دينية.